9me Année No. 425

Lundi - 25 - 8 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٢٥ « القاهرة في يوم الاثنين ٢ شعبان سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤١ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة		
١٠٥٣	شيء واحد	الأستاذ عباس محمود العقاد
١٠٥٦	قصائد الشعراء في تأبين سعد	الدكتور زكي مبارك ... ...
١٠٥٩	الأدب وأثره في حياة الطفل	الأستاذ رفعة الحنبلي ...
١٠٦٣	كليلة ودمنة	الأستاذ عبد السلام محمد هارون
١٠٦٦	الحروب الصليبية	الأستاذ ر. التميمي ... ...
١٠٦٩	المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم	المستشرق ادورد وليم لين بقلم الأستاذ عدلي طاهر نور
١٠٧٢	الانجليز والعمل	الأستاذ مصطفى كامل ...
١٠٧٥	من جراح الحرب ... ... [قصيدة]	الأستاذ محمود حسن إسماعيل
١٠٧٦	العاطفة الحيرى «	الأستاذ خليل شيبوب ...
١٠٧٧	من الأستاذ توحيد السلحدار	. ...
١٠٧٧	تعقيب لغوي...	الأستاذ الكبير « ا - ع »
١٠٧٧	صحة مثل — نظرة في مقال	الأستاذ كوركيس عواد ...
١٠٧٨	الطنطاوي يتحرك نهل يتحركون	الأستاذ عبد الغني العطري ...
١٠٧٩	الواو التي حيرت النحويين	الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
١٠٧٩	النقط...	الأديب أحمد الشرباصي ...
١٠٧٩	والد الملوك الأيوبيين أيضا	الأستاذ جمال الدين الشيال ...
١٠٨٠	المهرجان الأدبي الثالث ...	. ...

شيء واحـــد !

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان الضابط المصري « أحمس » الذي ارتفع إلى عرش الفراعنة في القرن السادس قبل الميلاد معروفاً في صباه بالمزح والمجون ، وكان عربيداً لا يسلم من دعابته زملائه ولا رؤساؤه ولا أصحاب القداسة من أحبار زمانه . فلما استوى على عرش بلاده نسي أصحابه أنه فرعون مصر وذكروا أنه الضابط العربيد ، ثم جروا في معاشرته على السنة التي ألفوها يوم كانوا أنداداً في الرتبة وإخواناً في اللهو والمجانة ، فصبر قليلاً على هذه المعاشرة التي لا يصبر عليها الملوك ، ثم ضاق ذرعاً بها وبأصحابه وأزمع أن ينهرهم بالعظة والتمثيل ، قبل أن ينهرهم بالسطوة والتنكيل ؛ وقيل فيما قيل من أساطيره الكثيرة أنه أتى بإناء من الفضة تسيل فيه الأيدي فاتخذ منه تمثالاً لرب من الأرباب المعبودة في زمانه . ثم نصب التمثال في مدخل القصر حيث يراه القوم أول ما يرون عند دخوله ، فما عبروه حتى خروا له ساجدين

وظهر لهم أحمس وهم يسجدون للتمثال فقال لهم : أتعلمون مم صنع هذا التمثال الذي حييتموه بالسجود ؟ إنه من ذلك الإناء الذي كنتم في الوليمة الماضية تغسلون فيه أيديكم وتبصقون فيه من مضمضة أفواهكم . فمن منكم يجرؤ اليوم أن يبصق عليه

أو يصيبه بنسالة الأيدى ؟ من فعل ذلك فجزاؤه الموت والنار ، وإن كان معدنه اليوم كمعدنه أمس فى سوق البيع والشراء

وفطن الضباط لما أراد ، وعلموا أن أحمس الفرعون غير أحمس الضابط البريد ، فسجدوا حيث كانوا بالأمس يلقون الرشاش من غسالة الأفواه !

* * *

والمقصود من عظة « أحمس » أن الشيء الواحد قد يختلف فى قيمته باختلاف الصورة حتى يهان ويبتذل فى صورة ، ويصان ويعبد فى صورة أخرى

ولكننا نتجاوز ما أراده أحمس فى هذه العظة لنقول : إن الشيء الواحد فى الصورة الواحدة يختلف باختلاف التقدير والنظر حتى يهان ويبتذل عند أناس ويصان ويعبد عند آخرين ، بل حتى يكون له عند الإنسان الواحد شأنان متفاوتان

وهذا تمثال أحمس نكتفى به ولا ننتقل إلى غيره لنعرف كيف يختلف قدره باختلاف النظر إليه

فالصائغ الفنان يعطيه فى تقويمه قيمة النحتة الجميلة التى لا تحسب بالدراهم والدنانير

والبخيل المتصيد للمال يقليه بمقدار ما يبذله فيه طلاب اقتنائه من عشاق الفن أو عباد هذه الأرباب

وعابد الوثن يتمرغ بين يديه

ومنكر الوثن يمرغه هو فى التراب ، وقد يعدو ذلك إلى تحطيمه وتحريم النظر إليه فى صيغته للعبودة

وتاجر الفضة يحيله إلى الميزان ، وصاحب الضرورة يبيعه بأبخس الأثمان ، وحارسه يمنع التبار أن يصل إليه لأنه يمنع رزقه وعقيدته وحماه

وهو مع هذا شيء واحد فى صورة واحدة

فهل هو فى الحق شيء واحد أو جملة أشياء ؟

* * *

كنا على المائدة نخوض فى حديث من هذا المعنى رهطاً من الإخوان الأدباء ورجال الفن والثقافة

فقال أحدنا : إن صديقنا فلاناً لتستهويه تلك الفتاة التى كانت تتهالك على من دونه فضلاً وعلماً ومكانة فلا تظفر منه بأكثر من الهوينا أو الإعراض عنها ؛ فما باله لا يرعوى ؟

ألا يهديه هاد أو يرده إلى صوابه ناصح أمين ؟

قلت : وهل الفتاة التى استهوت صديقنا هى الفتاة التى استهواها من هو دونه فى فضله ومقامه ؟

قالوا : نعم . هى فلانة !

قلت : أعلم أنها هى فلانة ، ولكنى أحسب مع هذا أن تلك الفتاة هى غير هذه الفتاة

وكان أمامنا على المائدة صحفة من البط المطبوخ ، فضيت أقول : ألا أحدثكم بلغة الأماثيل فيما نتناوله الآن من الطعام ونحن مستطردون فيما بدأناه آنفاً من حديث العظات الرمزية ؟

كان أربعة فى جيرة واحدة من أحياء المدينة : متسول ولص ورجل كادح لرزقه وصائد من هواة الرياضة

فقال المتسول لزميل له وقد عبر به اللص فى قيوده مسوقاً إلى سجنه : أنظر إلى ذلك الأحمق ! . . . سطا على حظيرة البط ليلة أمس فتيقظ له الحارس وأوشك أن يرديه برصاصة لأنه طمع فى بطة أو بطتين ! وها هو ذا يساق إلى السجن حيث يصوم عن أمثال هذه الطعوم . أفما كان خيراً له أن يصنع كما صنعت أمس وقد شممت رائحة البط المطبوخ فى منزل ذلك الصائد فما طرقت الباب حتى تناولتى صحفة أكلتها هانئاً بها غير جاهد فى شرائها ولا سرقتها ولا صيدها ولا طبخها ولا اقتناء صحائفها ؟ فأين غابت عنه حكمة القناعة وهى أقرب إليه من ذلك الخطار ، ومما وراءه من الحبس والعار ؟ !

قال زميله : وما ظنك بالصائد الذى أكلت البط المطبوخ من بيته ؟ أليس هو أحمق من اللص فى طلب البط الذى يجود به مطبوخاً ولا ينال منه أكثر مما تنال ؟ فعلام السفر من هنا إلى البحيرات النائية ؟ وعلام شراء السلاح والمدى بين الماء والعراء ؟ وعلام صيد الأسراب وبطة واحدة تكفيه ، أو لعله يجود بها على سائليه ؟

وأصغى إليهما الرجل الكادح لرزقه فقال : الحمد لله على ما وقفنى له من القصد والسداد : دريهمات معدودات تغنينى عن نفقة الصياد وعن ذل السؤال وعن غشيان السجون

فمن من هؤلاء الأربعة على صواب ! لو أخذنا بالظاهر لكان الصائد المتعب أحمق الأربعة ، ولو أخذنا بالحقيقة لكان دونهم جميعاً هو صاحب السهم الربيح والعقل الرجيح ، لأن البطة

عنده ليست هي البطة التي يسرقها اللص ، أو يستطيبها المتسول ، أو يشتريها الشاري من السوق ، ولكنها شيء يستحق أن يجهد له بالسفر والنصب وتعلم الرماية وبذل المال في السلاح ، وهي كذلك شيء غير الذي ظفر به المتسول من بيته مطبوخاً بغير ثمن . فلا وجه للمبادلة ولا للمقابلة بين الشيئين

وهكذا يجوز أن تكون الفتاة التي استهوت صديقنا غير الفتاة التي توكل رخيصة على موائد منافسيه ، فإنما العبرة بما يشعر به هو وما يشعر به هؤلاء ، وليست العبرة بوحدة الأسماء والأجسام .

وليس الشيء الواحد بشيء واحد على هذا التقدير

***

تلك حقيقة ينساها معظم الناس وهي داخلة في كل عمل من أعمالهم اليومية ، معترضة في كل خطوة من خطوات الحياة

فالصنف الواحد من الخضر يشتريه اثنان في يوم واحد من سوق واحدة بثمن واحد ، فيؤكل على مائدة أحدهما كأنه من طعام أهل الجنة ، ويؤكل على مائدة الآخر كأنه السم الزعاف

والكتاب الواحد يطالعه القارئان فيستفيد أحدهما منه ما لا يقدر بمال ، ويخرج الآخر من قراءته ولم يأخذ منه ما يساوي ثمن ورقه

والمكان الواحد يقصده زائران فيرجع أحدهما بالصحة والمعرفة والثروة ، ويرجع الآخر منه بالمرض والضلال والإفلاس

وقد تفتحت عيناي على هذه الحقيقة منذ أيام الطفولة ، فشهدت في بلدتي التي نشأت فيها التقاء الحضارات القديمة والحديثة ، والتقاء الأمم من غربية وشرقية ؛ وكان يزور أسوان في الشتاء ألوف السائحين منهم الأمريكي والإنجليزي والفرنسي والألماني والنمسوي ، وأبناء الأمم الأوربية كافة ، فكانت أوربا عندي على اجتماعها في كلمة واحدة صوراً مختلفات لا تتفق في مشارب ولا أطوار ولا عادات

وكنت أسمع العجب من اختلاف الآراء في من يعجب فيها الإنسان من كل مشهود وممنوع ، فلا أعجب ولا أحار إن عجبت ، لكثرة ما تسوقت من تناقض الأفهام والأحكام

زار أسوان أمير انجليزي كبير ، فخرج في الظهيرة إلى حيث يلعب « التنس » مع فئة من صغار الموظفين والضباط ، وشهدت مجلس والدي في المساء وأنا معجب بالأمير الحر الظريف ، فما سمعت تأففاً من شيوخ المجلس كالتأفف الذي سمعته منهم تلك الليلة ، وهم يعيبون على الأمير لعبه « أولاً » ونزوله في اللعب إلى مرتبة الصغار من الموظفين « ثانياً » ، وخلعه ملابس الإمارة ليظهر في لباس العامة « ثالثاً » ، وما شئت من مآخذ شتى : رابعاً وخامساً وسادساً إلى غير انتهاء

وكان « العقلاء » يضحكون من هؤلاء الأوربيين الذين يبلون أحذيتهم أو يفنون مطاياهم في الجبال ليرجعوا منها بكيس ملآن بحجارة وحصيات تلقى في عرض الطريق ، وكنت أرى هذه الحجارة في متحف الدرمة ، فأحسبها كنزاً من الكنوز المكنونة ، أو أحسبها على أقل تقدير لها موضوع درس ممتع مفيد

وكان المنقبون في الآثار القديمة من عامة الناس يهزأون بالعلماء الذين يعطونهم الذهب ويأخذون منهم خرقة بالية أو حلية مكسورة أو ورقة ممزقة ، وكنت أسمع في دروس التاريخ كل أسبوع أن هؤلاء العلماء رابحون مفلحون ، وأن الخاسر الحقيق بالاستهزاء هم أولئك الجهلاء المستهزئون

وازددت علماً بالدنيا وبنيها ، فكأنما اجتمعت الزيادة كلها في توكيد هذه الحقيقة الجامعة وخلاصتها بلغة الحرب والتسعيرة والغلاء : أن ليس لعروض الدنيا تسعيرة واحدة ، وأن ما يصدق من ذلك على العروض والأشياء ، أحرى أن يصدق على الأحياء وعلى الرجال والنساء

عباس محمود العقاد

الأنصار

يقدمها أنصار الثقافة الإسلامية

صدر العدد الثامن وتقرأ فيه :

أنصار فكرتنا وخصومها	إسماعيل بك قاسم برنكي
صورة المستقبل	أول معاهدة في الإسلام
عيد الإسلام في مصر	نقد وزارة المعارف
دعايات فرعونية	السياسة البورجوازية في التعليم
العرب في سقلية	لغة العرب وطن الإسلام

للمكاتبات بعنوان « الأنصار » شارع البستان رقم ٢٤ ميدان الفلكي

بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة

قصائد الشعراء في تأبين سعد

للدكتور زكي مبارك

— ١ —

في مثل هذه الأيام من سنة ١٩٢٧ فجُعت مصر بوفاة الزعيم سعد زغلول، والتفتت الأمم العربية إلى هذه الفجيعة العامية، فنُظِمت القصائد الجياد في الحزن لوفاة ذلك الزعيم العظيم، نظمها شعراء فضلاء من الحجاز واليمن والمغرب والشام والعراق؛ وكان من أجود المراثي التي صدرت عن شعراء الأمم الشقيقة قول الأستاذ بشارة الخوري شاعر لبنان:

قالوا دهتْ مصرَ دهياءُ فقلتُ لهم
هل غُيِّضَ النيلُ؟ أم هل زُلزِلَ الهرمُ؟
قالوا أشدُّ وأدهى، قلتُ ويحكمُ
إذن فقد مات سعدٌ وانطوى العلمُ
لمْ لا تقولون إن الشرقَ قاطبةً
تبتَّعوا، كانَ زغلولٌ أبًا لهمُ

وما نريد في هذه الدراسات الوجيزة أن نتحدث عما تفضل به شعراء الأمم العربية من المواساة الكريمة لوادي النيل، فذلك يوجب أن نستعد لأبحاث طوال لا يسمح بها الزمن الضنين، فلم يبق إلا أن نتحدث عن القصائد التي نظمها أكابر شعراء مصر من أمثال: شوقي وحافظ والعقاد والجارم ومطران

مهرجان التأبين

أقيمت تلك الحفلة التاريخية في اليوم السابع من أكتوبر سنة ١٩٢٧ بعد انقضاء الأربعين لوفاة سعد زغلول، وكان الخطباء والشعراء على هذا الترتيب: مصطفى النحاس، عبد الخالق ثروت، محمد محمود، حسن نبيه المصري، حافظ ابراهيم، عبد الحميد سعيد، فكرية حسني، مكرم عبيد، أحمد شوقي، نسيم أصيبعة، عباس محمود العقاد، حسين رشدي، يحيى الدين بركات

جو الحفلة

ومن هذه الأسماء نلاحظ أن جو الحفلة روعيت فيه الصبغة القومية والعربية، فقد تكلم محمد محمود عن حزب الأحرار الدستوريين، وتكلم محمد سعيد عن الحزب الوطني، وتكلمت فكرية حسني عن السيدات، وتكلم نسيم أصيبعة عن سورية.

دموع ثروت

وكانت الحوادث قضت بأن يصفو ما بين سعد وثروت بعد طول الخصام والعداء، فلما وقف عبد الخالق ثروت لرثاء سعد زغلول، نظر إلى صورة الصديق الفقيد، فتقلبه الحزن وأجهش بالبكاء... فترك المنبر، وقدم خطبته للأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلي، فأتمها بالنيابة عن ذلك الخطيب المحزون

برقية نسيم

وفي تلك الحفلة أُلقيت برقية نسيم باشا، رئيس الديوان الملكي حينذاك، وفيها يقول:

«أشاطركم الأسى وأقاسمكم الشعور في تأبين الفقيد العظيم، أسبغ الله عليه ثوب الرحمة والرضوان، وإني أستوهبكم عذراً: إذ ليس ميسوراً لي حضور الحفلة اليوم»

وإنما نصصت على هذه البرقية لأن جريدة «البلاغ» أشارت إلى أنها لفتت أنظار الحاضرين، ولبيان هذه الإشارة شرح يطول

إن تاريخنا السياسي الحديث فيه أسرار وغرائب وأعاجيب، فأين الباحث الذي يميط اللثام عن البيقرية المصرية في ميادين الجدل السياسي؟

إن طلبة الدكتوراه بكلية الآداب يشغلون أنفسهم بإعداد الرسائل عن مشكلات العصور الخوالي في الأدب والسياسة والاجتماع، فمتى يتجهون إلى درس المشكلات الأدبية والسياسية والاجتماعية في العصر الحديث؟

سارعوا إلى درس هذا العصر قبل أن تضيع الوثائق، وقبل أن يموت الشهود، فقد يصعب عليكم درسه يوم يصبح ظنوناً في ظنون!

قصيدة شوقي

نشرت في صدر «الأهرام» مع تمهيد نظنه من قلم المرحوم صادق عنبر، وهو يقول في ذلك التمهيد:

«هذه هي القصيدة التي تنزلت من سماء البيقرية وحياً يسيل

نور الحكمة على أبياته ، ويتجلى الإيجاز في حالية آياته ، وتتعرف فيه مواضع سجداته ... أبدعها شاعر العصر « شوقي » في تأبين زعيم الشرق « سعد » وأودعها سورتين متقابلتين إحداهما سورة الحياة التي تعجز الموت ، والأخرى سورة الموت التي يعجز الحياة ، منتزعاً من الحياة والموت مما أصدق ما فيهما من العظات ، وأجل ما فيهما من العبر والمثلات . وإنك لتجد فيما بين ذلك روحاً من الحكمة الكهلة ترف على كل بيت من أبياتها كما تدرج نسمة من الصبا في الخميلة النضرة الفيحاء . وقد تمثلت في هذا الشعر عاطفة شوقي الشبوبة وعظمة سعد الخالدة . وناهيك من خلدين تلاقيا ، وسحرين تظاهرا »

مرّ القصيدة

لم أكن في مصر يوم مات سعد ، وإنما كنت في باريس ، فلا أعرف أين كان شوقي يوم مات سعد ، فهل كان بمصر ؟ في القصيدة ما يشهد بذلك ، كأن يقول :

قلتُ والنعش بسعدٍ ماثلٌ ... فيه آمالُ بلادٍ ومُناها

وفيها مع ذلك أبيات تشهد بأنه كان يصطاف في البلاد السورية ، كأن يقول :

سائلوا « زحلة » عن أعراسها ... هل مشى الناعي عليها فحواها

عطل المصطافَ من مُحتاره ... وجلا عن ضفة الوادي دُماها

فتّح الأبوابَ لِلاّ دَيْرُها ... وإلى الناقوس قامت بيعتاها

صدّع البرقُ الدُّجا تنشرُه ... أرض سوريّا وتطويه سماها

يحمل الأنباء تسري دونها ... كموادي الشكل في حرّ سراها

عرض الشك لها فاضطربت ... نطق الآذان همساً والشفاها

قلت يا قوم اجمعوا أحلامكم ... كلُّ نفس في وريديْها رداها

فهذه الأبيات صريحة في أن الشاعر كان في سورية حين مات سعد ؛ فكيف جاز له أن يخاطب النعش ولم يكن من المشيّعين ؟

إنما صنع ذلك ليتسق له هذا الحوار الجميل :

يا عدوّ القيد لم يلمح له ... شبحاً في خطوةٍ إلا أباها

لا يَضِقْ ذرعُك بالقيد الذي ... حزّ في سوق الأوالي وبَراها

يا رفاتاً مثل ريحان الضحى ... كلتْ عَدْنٌ به هام رباها

وبشايا هيكلٍ من كرمٍ ... وحياة أترع الأرض حيَاها

ودّعَ العدلُ بها أعلامَهُ ... وبكت أنظمة الشورى سواها

حَصَنَتْ نعشَك والتفت به ... راية كنت من الذل فداها

ضمّت الصدر الذي قد ضمها ... وتلقّى السهم عنها فوقاها

عجَبي منها ومن قائدها ... كيف يحمي الأعزلَ الشيخ حماها

وهنا يظهر روح القصيدة ، فالشاعر يتحدث عن القيد وعدو القيد ، ويذكر الراية التي احتضنت نعش سعد ، بعبارة لطيفة تعد من أدق العبارات ، إذ جعل الراية تحمي نار الفجيعة ، وتشعر بفقد القائد الذي كان يحمي حماها ، وإن جردته الأقدار من السلاح

عيوب القصيدة

وفي هذه القصيدة أبيات روائع ، منها قوله في فجيعة مصر بدفن سعد :

ما دَرَتْ مصر بدفن صبّحت ... أم على البعث أفاقت من كراها

صَرخت تحسبها بنت الثرى ... طلبت من مخلب الموت أباها

وقوله في جزع مصر لفقد الخطيب الذي أسكرها ببحر بيانه حيناً من الزمان :

طافت الكأس بساقي أمةٍ ... من رحيق الوطنيات سقاها

عطلّت آذانُها من وَتَرٍ ... ساحر رنّ مليًّا فشجاها

أرغنٌ هام به وجدانها ... وأذانٌ عشقتْهُ أذناها

كلّ يومٍ خطبةٌ روحيةٌ ... كالمزامير وأنغام لُتاها

دلّهتْ مصراً ولو أن بها ... فلوات دلّهت وحش فلاها

وقوله في مصاير الأحياء :

زورقٌ في الشمع يطفو أبداً ... حرف الضفة إلا ما تلاها

تهلع الشكلى على آثاره ... فإذا خفّ بها يوماً شفاها

وقوله في فضل سعد على الثورة وجعلها خير ما ترك من الذرية :

ولدَ الثورة سعدٌ حُرّةً ... يحيائي ماجدٌ حُرٌّ نماها

ما تمنّى غيرها نسلاً ومَن ... يلد الزهراء يزهد في سواها

رَقدَ الثائرُ إلا ثورةً ... في سبيل الحق لم تخمد جناها

قد تولاها صبياً فكوتْ ... راحتَيْه وفتياً فرعاها

أعلم بعد موسى من يدٍ ... قذفت في وجه فرعون عصاها

وطئتْ ناديَهُ صارخةً ... شاه وجهُ الرق يا قوم وشاها

وقوله في أخلاق سعد :

أين من عيني نفس حرة كنت بالأمس بعيني أراها
روعة الناي إذا جدت فإن نزحت لم يذهب المزح بهاها
يظفر الدهر بأقصى سخطها وينال الود غليات رضاها
ولها صبر على حسادها يشبه الصفح وحلم عن عداها
لست أنسى صفحة ضاحكة تأخذ النفس وتجري في هواها
وحديثاً كروايات الهوى جد للصب حنين فرواها
وفتاة صعدة لو وهبت لسماك الأعزل اختال وتاها

تلك عيون هذه الشوقية ، وما زاد فهو معان يكررها شوقي في أكثر مراثيه ، وإن كانت تجل عن الابتذال

قصيدة حافظ

ابتدأ حافظ قصيدته بما ألف الشعراء من الحديث عن تأثر الوجود لفقد العظماء ، فسأل الليل : هل شهد المصاب ورأى كيف ينصب في النفوس ؟ ثم دعاه إلى تبليغ المشرقين غياب الرئيس ، مع نعيه للنيرات لتلبس عليه ثوب الحداد ؛ ثم توجع لغياب سعد عن الحفل فقال :

أين سعد فذاك أول حفل غاب عن صدره وعاف الخطابا
لم يعود جنوده يوم خطب أن ينادى فلا يرد الجوابا
علم أسراً قد عاقه ، علم سقما قد عراه ، لقد أطال الغيابا
أي جنود الرئيس نادوا جهاراً فإذا لم يجب فشقوا الثيابا

ثم وازن بين بلية فلسطين بالزلزال وبلية مصر بموت سعد ، فقال :

قل لمن بات في فلسطين يبكي إن زلزالنا أجل مصابا
قد دهيتم في دوركم ودهينا في نفوس أبين إلا احتسابا
فقدتم على الحوادث جفناً وفقدنا المهند القرضابا
سله ربه زماناً فأبلى ثم فاداه ربه فأجابا
قدر شاء أن يزلزل مصراً فتعالى فزلزل الألبابا

وجعل حمل النعش على المدافع دليلاً على أنه أضخم من أن تحمله الرقاب :

خرجت أمة تشيع نعشاً قد حوى أمة وبحراً عبابا
حملوه على المدافع لما أعجز الهام حمله والرقابا

واتخذ تعزية « التيمس » شاهداً على عظمة سعد فقال :

ساقت التيمس العزاء إلينا وتوخت في مدحك الإسهابا
لم يسغ جازع عليك كما نا حت ولا أطنب المحب وحابى
واعتراف « الخامز » بسعد مثيا س لما نال قبلنا وأصابا

وعبرة هذه القصيدة هي الأبيات التي ينص فيها حافظ إبراهيم على أن روح الثورة لن يموت بموت سعد ، وأن الأمة لن تصد عن الغاية بوعد أو وعيد :

ليت سعداً أقام حتى يرانا كيف نسلي على الأساس التهابا
قد كشفنا بهديه كل خافٍ وحسبنا لكل شيء حسابا
حجج المبطلين تمضي سراعاً مثل ما تطلع الكؤوس الحبابا
حين قال « انتهيت » قلنا بدأنا نحمل العبء وحدنا والمصابا
فاحجبوا الشمس واحبسوا الروح عنا وامنعونا طعامنا والشرابا
واستشقوا يقيننا رغم ما نلـ ـقاه هل تلحون فيه ارتيابا
قد ملكتم فم السبيل علينا وفتحتم لكل شيء بابا
وأتيتم بالحاسمات تراعى تحمل الموت جائعاً والخرابا
وملأتم جوانب النيل وعداً ووعيداً ورحمة وعذابا
هل ظفرتم منا بقلب أبي أو رأيتم منا إليكم متابا
لا تقولوا « خلا البرين » ففيه ألف ليث إذا البرين أهابا
فاجمعوا كيدكم وروموا حماه إن عند البرين أسداً غضابا

فهذه الأبيات هي خير ما في قصيدة حافظ ، وقد خلت من معانيها قصيدة شوقي ، وكان حافظ كثير الالتفات إلى المعاني التي ألفت الزأر بها قبل عهد الاستقلال

ثم تحدث عن أخلاق سعد فقال :

تقتل الدهر بالصراحة قتلاً وتسقي منافق القوم صابا
وترى الصدق والصراحة ديناً لا يراه المخالفون صوابا
تشق الجو صافي اللون صحواً والمضلون يشقون الضبابا
أنت أوردتنا من الماء عذباً وأراهم قد أوردونا السرابا

وعطف على أيامه مع سعد في « بساتين بركات » فقال :

نم هنيئاً فقد سهرت طويلاً وسئمت المقام والأوصابا
كم شكوت السهاد لي يوم كنا في « البساتين » نستعيد الشبابا
نهب اللهو غافلين وكنا نحسب الدهر قد أناب وتابا
فإذا الرزء كان منا بمرأى وإذا حائم الردى كان غابا

أما بعد فهذه ملامح من قصيدة شوقي وقصيدة حافظ في تأبين سعد ، وسنتكلم في المقال المقبل عن قصائد العقاد والجارم ومطران والله ولي التوفيق

زكي مبارك

نظرات في التربية

اللعب وأثره في حياة الطفل

للأستاذ رفعة الحنبلي

لكل إنسان في هذه الحياة أهداف يرمي إليها ، لكنهم قلما يشتركون في هذه الأهداف ؛ إلا أن هنالك غاية واحدة يشترك البشر كلهم فيها . هذه الغاية هي السعادة .

إن هذه الغاية التي عرفها علماء النفس « بعامل اللذة » تكيف أعمال الإنسان ، وتتحكم في تصرفاته ، وتدفعه إلى سلوك السبل التي توصله إليها فتمهد له حياة مرحة وعيشة رخية

وفي الواقع أن هذه اللذة قد تختلف باختلاف البيئة والوسط وقد تتباين بتباين الجنس والعمر ، فاللذة التي تنساق إليها الفتاة أو المرأة هي غير اللذة التي يتجه إليها الفتى أو الرجل ، كما أن لذة الأطفال هي غير لذة المراهق والشيخ

بيد أن البيئة والوسط لهما أثرهما في توجيه هذه اللذة وتكييفها حسب النظم الاجتماعية والقوانين الأخلاقية ، والطرق التربيوية التي يعيش الفرد في كنفها ويتفيأ ظلها ؛ ولذة الطفل تتمركز في لعبه المختلفة الأنواع ، فهي أولى رغائبه ، وقبلة أنظاره ، ومحط آماله ، وهدف أحلامه

* * *

والتربية الحديثة تقوم على تهيئة الوليد للمستقبل ، أي أنها تؤهله للحياة ، والتأهل للحياة إنما يكون في الاهتمام بميوله ، ومعرفة غريزته ، وتمهد حاجاته في دور طفولته الذي هو وقت نموه وتقدمه ، لما كان من أقدس الواجبات على المرء أن يهتم بهذه المرحلة من حياة الوليد ، وما تفتقر إليه من عناية

وما العناية إلا تهيئة أجواء من الحياة ، تسمح للوليد بالنمو الطبيعي في الجسم والعقل والخلق ، ولا يتوقف هذا النمو على ما يكتنفه من العوامل التربيوية والاجتماعية ، وما يحف به من العناصر التهذيبية والأخلاقية وحسب ، بل يتوقف على ترك قوى الأطفال وغرائزهم وميولهم في جو حر طليق لا يقيده نظام ولا تحده إرادة ؛ والطبيعة هي الجو الطليق للطفل ، توجب عليه أن يعيش عيشة الأطفال ، وتلزمه أن يحيا حياتهم ، وتحمله على أن يلعب لعبهم ، من تلقاء نفسه ، وبكامل حريته ، كما تتطلب مصلحته ، وتقتضي غريزته

فالطفولة هي أهم الأدوار التي يمر بها الإنسان إذ تكون طبيعة الوليد سريعة الانفعال شديدة التأثر بما يعرض في دائرة حسه ، والتي يتأهب عقل الطفل فيها لقبول المؤثرات التي تمتزج في مزاجه الرخص ، فتبعث فيه صفات تختلف قوة وضعفاً تبعاً لتلك المؤثرات

إن العوامل التي لها الأثر العميق في تربية الوليد وتهذيبه كثيرة ، والعناصر التي لها النصيب الأوفر في تنشئته تتشئة تتلاءم مع غاية الحياة وغيرة ؛ على أن اللعب هو أهم تلك العوامل والعناصر في حياته ، فاللعب إنما هو استعداد للحياة كما يقول العلامة « كروس » . وقد ذهب المربي الكبير « فروبل » — وهو أول من ابتكر روضات الأطفال — إلى أبعد مما ذهب إليه زميله فهو يقول : « من خطل الرأي وعقم الفكر ، أن ننظر إلى اللعب كشيء لا وزن له ولا قيمة ؛ ولكن من حسن الرأي وبعد النظر ، أن ننظر إلى اللعب كعامل له حيويته ومؤثراته وغايته . إن لعب الأطفال لأشبه بالبراعم لحياة الإنسان ، فإن كانت هادئة أو مضطربة ، نشيطة أو خاملة ، خصبة أو ماحلة ، مفعمة بالسعادة أو مغمورة بالألم ، تحمل رمز السلام أو صنى الحرب ، كل هذه تتصل اتصالاً وثيقاً باللعب التي تمر الطفل مدة طفولته »

ولا بد لنا من أن نعرض نظريات اللعب المتعددة التي اختلف علماء النفس في أمرها وتفاوتت بحوثهم فيها ، ليقف الإنسان على عواملها ودوافعها

ذهب بعضهم إلى أن اللعب ليس إلا ظاهرة من ظواهر الراحة ، أو بعبارة أخرى ليس اللعب إلا فترة من الوقت يأخذ الجسم فيها قسطه من الراحة ، والفكر حظه من الهدوء ؛ ولا يسع المرء إلا أن يتساءل لماذا يطيب اللعب للانسان ، بعد أن يكون تعباً منهوك القوى ، متوتر الأعصاب ، أكثر مما تطيب له الراحة ؟ ألا نشاهد الأطفال يرغبون في اللعب ويلتمسونه فور نهوضهم من فراشهم ؟ والحيوان ألا تراه يلعب من الصباح حتى المساء دون أن يقوم بعمل ما ؟

وراح يزعم البعض وعلى رأسهم « شيلر » — وناصره بعد ذلك الفيلسوف الإنكليزي الكبير « سبنسر » — أن اللعب

يمثل فيضان القوة الزائدة فى الطفل ؛ ويعلل ذلك أن القوى الحيوية تزداد عنده ازدياداً كبيراً فى وقت لا يمكنه أن يصرفها إلى أى عمل ذى أهمية ، فتتكتل هذه القوى ، وتنساب إلى الشعب التى تكونت — فيما مضى من الأيام — فى الجهاز العصبى ، فتحدث فى الطفل فيضاناً يدفعه إلى اللعب .

ولا ريب أن تكتل هذه القوى الفياضة يدفع الطفل إلى اللعب ، ويساعده على التبسط به ، ولكننا نجد أحياناً بعضاً من الأولاد — على الرغم من التعب الذى يستولى عليهم من جراء أعمالهم — لا يزالون يلعبون لعبهم حتى إلى وقت إغفائهم ! وقد نشاهد أيضاً أن بعض المرضى من الأولاد ، يفزعون إلى ألعابهم ، يلعبون بها ويعبثون ، قبل إبلالهم من مرضهم وحتى قبل استكمالهم قواهم ونشاطهم !

ويرد « ستانلى هول » أسباب اللعب إلى عوامل وراثية بعيدة Atavisme خلفتها الأجيال الماضية . فيقول : إن اللعب ليس إلا قوى بدائية للانسال السالفة ورثها الطفل واحتفظ بها . وهذا الرأى يطابق ما ذهب إليه « هيكل[1] » من أن الطفل يمثل فى لعبه ما مرّ على الإنسان من الأدوار فى نشوئه

وما اللعب فى نظر « هول » إلا عبارة عن ارتياض ضرورى لإخفاء بعض الوظائف التى أصبحت عديمة الفائدة ؛ فالهدف الذى أراده من نظريته هذه هو أن اللعب ليس وسيلة للقضاء على هذه الوظائف غير النافعة ، بل التأثير فى غيرها من الوظائف الأخرى وتكييفها وإعدادها لقبول حياة جديدة

على أن أهم تلك النظريات التى فازت بإعجاب قسم كبير من علماء النفس هى نظرية « التدريب الإعدادى » Théorie de l'exercice préparatoire ، وأول من فكر فيها وتعمق فى دراستها العالم الكبير Karl Groos عام ١٨٩٦ فى كتابه « ألعاب الحيوان » Les Jeux des animaux

أراد هذا العالم أن يتجه فى درس اللعب إلى ناحية جديدة — بعد أن لمس عقم نظريات زملائه — فولى وجهه شطر الناحية البيولوجية من بحثه ليقف على دقائقها وليعرف كنه أسرارها . ولقد وفق « كروس » فى نظريته هذه توفيقاً كبيراً ، حتى أنه أدرك القوى العقلية وتفهم اضطراباتها ، لا عند الإنسان فحسب ، بل عند الحيوان أيضاً

ولو أردنا أن نبحث ، على ضوء هذه النظرية القوى الفعالة للعب ، لوجدناه يختلف جد الاختلاف فى جماعة الإنسان ، ويتباين بتباين أنواع الحيوان . فالهرة الصغيرة تتبع فى ركن من أركان الحجرة ، منبسطة اليدين ، منمضة العينين ، مرهفة السمع ، حتى إذا ما اهتزت أمامها ورقة ما أو سحبت من أمامها ، تراها قفزت عليها قفزة سريعة ، وداعبتها بيديها فترة من الزمن ، ثم مزقتها بأنيابها ، فكأنها بعملها هذا تستعد للحياة وتهيئ نفسها للقفز على فريستها فى المستقبل . والجدى الذى يمارس النطاح منذ صغره يعد نفسه للحياة التى عرفت عنه ، فلكل حيوان غريزة خاصة به ، أتته عن طريق الوراثة البعيدة أو القريبة من الفصيلة التى ينتسب إليها ، فتظهر هذه الغريزة واضحة جلية — وإن كانت فى بدئها ضعيفة إلى حد ما — منذ النشأة الأولى

وقد تتفاوت مدة نمو هذه الغرائز فى الحيوان بتفاوت درجته فى سلم الحياة ، فالحيوانات الدنيا تحتاج إلى مدة أكثر مما تحتاجه الحيوانات العليا ، لاستكمال نمو غرائزها واستيفاء قوتها ؛ وقلما نجد غريزة فى حيوان تتفق مع غريزة فى حيوان آخر ، فالهرة تقفز على الورقة إذا ما اهتزت أو تحركت ، أما الجدى فلا يقفز عليها مهما اهتزت وتحركت ، ولكنه يتأهب للنطاح حالاً إذا وجد أمامه جدياً آخر ؛ فالهرة تجهل النطاح ، كما أن الجدى يجهل القفز ، لأن لكل منهما غريزته الخاصة به

كذلك نرى للانسان غرائز بقدر ما لديه من أنواع اللعب : فغريزة للصيد ، وثانية للقتال ، وأخرى للمداعبة وغيرها . . .

على أن هذه الغرائز الموروثة لا يكتمل نموها ولا تستوفى حيويتها إلا باكتساب واقتباس جديدين ؛ ولن يفوز الانسان بهذين العنصرين الهامين إلا بعد ممارسة اللعب الذى من شأنه أن يعد للرء الحياة الصحيحة . لذا وجب على الإنسان — وهو أكثر الحيوان طفولة — أن يلعب ، ويلعب كثيراً حتى تعد عديدة ، كى يمسى فيما بعد إنساناً جديراً بالحياة ؛ إذ أن اللعب ، فى الواقع ، يروض بعض قواه الفعالة ، ويروض معها بعض وظائف أعضائه ، ويسمو هذا الترويض بالإنسان إلى ما يصبو إليه من أهداف سامية وغايات نبيلة

هذه هى أهم تلك النظريات[1] التى أشبعها علماء النفس

(١) Haekel

(١) اعتمدنا فى بحث نظريات اللعب على كتاب العلامة (كلاپارد) « نفسية الطفل وعلم التربية التجريبى »

دراسة وبحثاً ، ولا بد لنا من الرجوع إلى البحث عن أثر الألعاب في حياة الانسان بعد أن أتينا على ذكر عواملها المتعددة

والواقع أن اللعب لا يبغي الراحة ولا التسلية ؛ وإنما هو عمل حيوي للانسان ، له الأثر الأكبر في حياته ، كما أن له خصائص بيولوجية ، تسهل على المرء سبل التقدم ، وتمهد له طريق الحياة

فالرغبة في اللعب إنما تنبثق من الغريزة الكامنة فيه ، فيختار من الألعاب ما يتفق وميوله ورغائبه وتساعده على بلوغ هدفه . على أن هذه الرغائب وهذه الميول تتنوع بتنوع العوامل الاجتماعية والخصائص الفردية ، إذ تعبر عما يختلج في نفسه من هذه الخصائص وتفصح عن نفسيته بأجلى مظاهرها

وأخذت التربية الحديثة تواجه هذه الميول وتتعهد هذه الخصائص ، فتوجهها إلى النواحي الاجتماعية والأعمال الانسانية التي قد يقوم بها المرء في المستقبل

يقول (فرويل) : « ليس للمشرف على الوليد إلا أن يوجه تصرفاته ، منذ نعومة أظفاره ، في الوقت الذي يرتع ويلعب بين ألاعيبه الكثيرة ، إلى معرفة خصائصها ، وأن يظهر له أثرها في نفسيته وخلقه » ونحن إلى ذلك نمتاز بأنها العامل الأقوى في نمو العقل والجسدي

فالأبحاث التي قام بها العلامة الفرنسي Binet أكدت لنا أن هنالك اتصالاً وثيقاً بين النمو الجسدي والنمو العقلي ، أو بالأحرى بين صحة الجسم وقوة العقل ووثبة الفكر . لذلك نرى أن الألعاب التي يتهالك عليها الطفل ، في بدء حياته ، والتي يختلف إليها بين آونة وأخرى تساعده على هذا النمو الذي أشار إليه « بينه » والذي يلازمه طول حياته الأولى ؛ فالاعتناء بالألعاب هو وسيلة لتحسين العقل والجسم معاً

يحتاج الوليد ، في الواقع ، إلى كثير من اللعب ، فالقوانين المدرسية التي تحتم عليه الصمت والجمود ، لا تتلاءم مع حياته ، وما يتطلبه من حرية ، وما يفيده من استقلال . لذلك أدرك « فرويل » أن المعهد ليس هو البيئة الخاصة التي تلائم الوليد ، لأنها تقيد حريته وتفقده حيويته وتخمد نشاطه . وهذا ما حمله إلى إنشاء روضات الأطفال يلعبون ويغنون ويرقصون في جو حر طليق يتعهدهم كما يتعهد البستاني نبات روضته

فالنظم المدرسية الحديثة حتمت على المربين تعهد الأطفال تعهداً كلياً ، وإغراءهم على اللعب بالألاعيب وبشتى الوسائل ، وترغيبهم فيها بمختلف العوامل ، مما حداهم إلى وضع مقادير وفيرة من الألاعيب الجميلة بين أيديهم ، يختلفون إليها برغبة وشوق ، ويصرفون بها بحرية تامة . والطفل لن يكون طفلاً إذا لم يفزع بين حين وآخر إلى اللعب لأن طبيعته تقتضي ذلك

وقد يثير منظر هذه الألعاب فضول الطفل ، فيدفعه إلى تفهم أسرارها والوقوف على دقائقها ، وما يحيط بها من إبهام وغموض ، فيتفتح عقله على آفاق جديدة ، وتنكشف نفسه على أجواء طريفة ، ويقوى جسمه وتتصلب أعضاؤه ، فيتم بالعقل النير ، ويتمتع بالجسم القوي ، ويتزود بالمعرفة الواسعة

لذا وجب على المربي أن يُذكي غريزة اللعب في نفس الولد ، ويستحث رغباته ، ويلهب فضوله للاستقراء عن خصائص هذه اللعب والوقوف على ماهيتها ، لأن هذا الاستقراء هو في الواقع من أهم العوامل التي لها الأثر الأكبر في إيقاظ القوى الفكرية فيه ، ورفع مستواه الأدبي والعقلي والخلقي ؛ بل يجب على المربي ألا يهمل رغبات الطفل — التي هي خلجات نفسية وقتية — وألا يتجاهل فضوله الذي يرتبط إلى حد ما بالبيئة والوسط والعمر . فالإهمال يورثه قلة المعرفة ، والتجاهل يخمد فيه الدافع النفسي للعمل الذي من شأنه أن يرسم لنا خطوط نفسيته ويبين ما يجول في خاطره

هذا إلى أن التربية الجنسية والخلقية والعقلية تتصل اتصالاً مباشراً بالألعاب التي يتسلى بها الأطفال ؛ وقد تختلف هذه الألعاب باختلاف حداثتهم ، وقد تتباين بتباين عواملها ، إلا أن الهدف الأسمى والغاية المثلى منها هي تربية الوليد تربية سامية صحيحة .

فاللعب يرمي إلى إنماء الجسم وتقوية البدن ، وإلى غرس الفضيلة في النفس ، وتزويد العقل بشتى المعارف والعلوم ، فصفاء القلب ، وجمال الأدب ، وطيب الخلق ، وإظهار التعاطف ، وإيراز العادات الحسنة ، وتقوية الميول الاجتماعية ، وجميل المعاملة ، وحسن المعاشرة ، وحب الإنسانية ، إنما تكتسب عن طريق الألعاب

ولما كان الوليد يميل بطبيعته إلى العمل ويندفع بغريزته إليه — واللعب أول مظهر من مظاهر العمل — كان هدف التربية الحديثة أن تصاغ أعمال التربية الأولى في صور الألاعيب ، معدة لتصريف غرائز الطفل وتوجيه ميوله ورغائبه توجيهاً يعود عليه بالنفع في مستقبل حياته ، فاللعب إذاً هو بمثابة وسيلة هامة لتكوين الطفل تكويناً أدبياً . فليست « الحركات والألاعيب التي

يأتيها الطفل ، يقصد بها إشباع الرغبات ، وسد أطماع النفوس وحسب ، ولكنها مختارة لغايات تهذيبية وأخلاقية وأدبية » .

ولما كانت التربية تبتدئ عملها منذ الدقيقة الأولى التي يبصر الطفل فيها النور ، والتي تتمشى جنباً إلى جنب مع الطفولة ، وتستمر معه طوال حياته ، وجب أن تعاون التربية الطبيعة على الوصول به إلى الغاية المقدرة له ، ويتوقف نجاح نشأة الطفل على قوة بدء التربية . لما كانت العناية بالتربية الأولى في دور الطفولة التي هي أهم أدوار الحياة ، تفوق كل عناية ، وهذا ما عناه Perez في قوله : إن التربية تبتدئ منذ المهد

وماذا يراد بالتربية الأولى ؟ ... أليست هي التي ترمي إلى « إنماء قوى الأطفال الجسمية ، وتمرين حواسهم وإيقاظ مداركهم ، وحملهم على تعرف مظاهر الطبيعة حولهم ، ووقفهم على أسرار الاجتماع ، والتعاون على الأعمال ، وتوجيه نفوسهم إلى النافع في الحياة ؟ »

أليست هي التي ترمي إلى إنماء الجسم وإيقاظ العقل وإحياء القلب ؟ أليست هي التي تحتم جعل أساليب التعليم سائغة شائقة ، تبعث في نفس الوليد النشيطة ، وتنفخ فيه أسباب المرح ، وتملأ قلبه بهجة وسعادة ؟ ...

ليس اللعب في نظر المربين إلا وسيلة التربية الأولى التي من شأنها أن تؤدب النفس ، وتهذب الخلق ، وتقوم الطباع ، وتوجه الغرائز . وما اللعب إلا العامل الأقوى في تهيئة تلك الأجواء التي تتطلبها التربية ، وتلك الآفاق التي ترغب في إحاطة الوليد بها ؛ فاللعب من أهم الأحداث في حياته — إن لم يكن أهمها — لأن من خصائصها التهذيب والتأديب والتثقيف ، فضلاً عن تفتح النفس لألوان من المعرفة ، وانفساحها لصنوف المؤثرات والأحاسيس ، وتهيؤها للحياة المقبلة

وهو إلى ذلك — أي اللعب — يمثل دوراً اجتماعياً من الطراز الأول في الهيئة الاجتماعية . وإذا ما رجعنا إلى رأي العالم كار Karr نجده يقول : إن الألعاب لها الأثر الكبير في إنماء شعور التكتل عند الفرد ، وهذا التكتل له الشأن الخطير في حياة الإنسان وفي رفع المجتمع البشري . وقد ذهب هذا العالم الكبير إلى أبعد من هذا الحد ، فزعم أن كثيراً من الألعاب تساعد المرء على التخلص من بعض الغرائز الموروثة غير الاجتماعية والتي يتضرر المرء منها ، إن هي بقيت متأصلة فيه

غير أن هذا التخلص لا يراد به سوى التسامي بهذه الغرائز وتوجيهها توجيهاً اجتماعياً سامياً ، فالانفعالات في الوليد أوجدوا لها علاجاً اجتماعياً أطلقوا عليه « التسلية النفسية » التي تتسامى بغرائزه غير الاجتماعية ، وقت انفعالها إلى النواحي الاجتماعية كتربية الحيوان وتمهد الأزهار وغيرها

وقد تأثر العلم قديماً ولم يزل يتأثر حتى الآن ، بالألعاب التي يتلهى بها الإنسان ، وبفضل هذه الألعاب اكتشفت أول خصائص الكهرباء ، وظهرت الدراجة ، وحلت بعض المعضلات وتمتع العالم بشتى الاختراعات ومختلف الاكتشافات

إن الألعاب التي يلعبها المرء واللاهي التي يلهو بها هي عوامل لها الأثر في ترقيته وتكوين خلقه وميوله وتحديد وجهة نظره في الحياة ، فهي عوامل في تربيته تؤثر فيه أثراً مستمراً ، تشكل أخلاقه وعقله من يوم يحل في هذا العالم إلى يوم يغادره » فهي وسيلة لتأديب نفسه وتهذيب خلقه وتنمية ذوقه

وإذا ما غمرنا الطفل بالألعاب الكثيرة ووسائل اللهو فكأننا غمرناه في بيئة هي أسبقها إلى التربية الحقة ، وأدناها غاية من البيئات الأخرى .

(بيروت) رفعت الخيلي

وزارة المواصلات

مصلحة الموانئ والمنائر

تقبل العطاءات بمكتب سعادة مدير عام مصلحة الموانئ والمنائر لغاية ظهر يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٩٤١ عن توريد دبش ودقشوم بين الرأسين الثالثة والرابعة على ساحل بحر بلدة برج البرلس وكذا على حاجز بحري رأس البر بدمياط — ويمكن الحصول على المواصفات وشروط التوريد من الادارة العامة للمصلحة بالترسانة باسكندرية نظير مبلغ مائة مليم النسخة الواحدة خلاف ٣٠ مليم رسم تمغة على الطلب ٨٥١٠

كليلة ودمنة

نقد وتعليق

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

« كتاب دهرىّ السِّنّة ، متقادم الميلاد » ، أفرغت فيه حكم الدنيا ومواعظ الأجيال ، وكان عجباً عاجباً وأدباً خالداً ! !

وكان اختيار مطبعة المعارف لهذا السِّفر الجليل أن يكون تذكاراً لنيلدها الخميني — اختياراً موفّقاً كل التوفيق ، فبرهنت بذلك أنها تحسن هذا الأمر وتجيده

وأما الرجل الذى وُكِلَ إليه الاضطلاع بعبء نشر الكتاب وتحقيق مواضع الشُّبه فيه والحكم عليها ، فرجل هَدَّكَ من رجل !

فالدكتور عبد الوهاب عزام قطب من أقطاب الثقافة العربية كما هو من الثقافة الفارسية . فكان بذلك خير من يتصدّى لمثل « كليلة ودمنة » ، لينشره على الناس فى هذا الثوب الرائع الفائق ، وليجهد نفسه فيه هذا الإجهاد المثمر الطيب

وإنى لأبادر فأهنئ الأستاذ عزام تهنئة صادقة ، لِمَا أحيا « كليلة ودمنة » على نحو ينتبط له ابن المقفع فى مثواه ، وينتبط له أيضاً ذلك الجندى المجهول الذى صنع للناس هذا الكتاب فى أصله الهندى ، ثم تركه يسير فى الدنيا كريماً عزيزاً ، تتهاداه اللغات ، وتتنازعه اللجات ، وينتبط له كذلك أنصار الأدب العربى فى المشرقين والمغربين

كما أزجى تهنئتى إلى رجال مطبعة المعارف ، منوّهاً بهذا الفن العجيب الذى أبرز الكتاب تحفة تاريخية ناطقة . وإن كان للنشر أدب خاص ، فهذا الكتاب منه قطعة أدبية عالية ؛ وإن للألواح الثلاثة عشر التى رسمها المصور « رومان ستريكانفسكى » لأثراً كبيراً فى إحداث هذا الجو الفنى البهيج

وقد صنع الأستاذ عزام لهذا الكتاب مقدمة بلغت من النفاسة مبلغاً ، وحوت من الفوائد الكثير ؛ فهو قد عرض لتاريخ الكتاب ، وبيّن أن النسخة العربية « أصل لكل ما فى اللغات الأخرى ، حاشا الترجمة السريانية الأولى ، فقد فُقد الأصل الفهلوى الذى أخذت عنه الترجمة العربية ، وفُقد بعض الأصل الهندى الذى أخذت عنه الترجمة الفهلوية واضطرب بعضه ، فصارت النسخة العربية أمّا يرجع إليها من يريد إحداث ترجمة أو تصحيح ترجمة قديمة ، بل يرجع إليها من يريد جمع الأصل الهندى وتصحيحه »

ثم تحدّث عن طبعات الكتاب ، فذكر :

١ — طبعة المستشرق دى ساسى التى كانت طبعته أصلاً من أصول الطبعات المصرية الكثيرة ؛ وهى نسخة ملفقة من عدة نسخ

٢ — ثم طبعتى اليازجى وطبارة ، وهما ملفقتان من طبعة دى ساسى ومخطوطات ومصورات أخرى

٣ — ثم طبعة شيخو ، وهى أول طبعة فى اللغة العربية تقدم للقراء نصّاً كاملاً غير ملفق من كتاب « كليلة ودمنة » وأصلها مخطوط سنة ٧٣٩ هـ ؛ وقد طبعه شيخو كما هو لم يصحح أغلاطه ولم يوضح غامضه ، ليكون أمام المستشرقين صالحاً للمقارنة والنقد

ثم تحدث عن النسخة التى نقلت عنها الطبعة الحديثة ، وهى فى مكتبة أيا صوفيا باسطنبول كتبت سنة ٦١٨ ، فهى أقدم من كل المخطوطات التى وصفها المستشرقون ، وأقدم من نسخة شيخو المكتوبة سنة ٧٣٩

وهذه النسخة مفعمة بالتحريف والتصحيف والأسقاط وخطأ الرسم ؛ وتستطيع أن تعد فى النموذج المصور من الصفحة الأولى فقط[1] نحو اثنى عشر تحريفاً وتصحيفاً

وهذا يدل على مقدار الجهد الهائل الذى بذله الأستاذ عزام فى تحقيق هذه النسخة وتقريبها إلى السلامة

ونحن فى هذا الصدد نأخذ على الأستاذ أنه لم يتوخ فى هذه الناحية ما يقتضيه النشر العلمى من إثبات الأصل والتنبيه عليه ؛ فقد يكون للقارئ وجه فى التصحيح غير الذى ارتضى . نعم ، إن الأستاذ قد أثبت بعض كلمات الأصل فى التعليقات التى ألحقها بالكتاب ، لكنها من القلة بحيث لا تغنى شيئاً فى معرفة أصل الكتاب والوقوف عليه

وأمامنا جهود المستشرقين ناطقة بمدى تقديرهم لهذه الناحية التاريخية الفنية ، فلا تكاد تجد كتاباً نشروه إلا وقد أثبتوا أصله أو أصوله إن كان ذا نسخ مختلفة

وكتاب مثل كتابنا هذا ، لَبِسَ من جلال التاريخ ما لَبِس ، جدير بما ذكرت من وجوب بيان أصله للرجوع إليه ، ووجوب مقارنة نسخه بعضها ببعض

(١) ص ٢٣ من المقدمة

ولغة ابن المقفع فى « كليلة ودمنة » لغة عالية ، تسلو على المتأدب والأديب أيضاً ، فهى محتاجة إلى توضيح وتقييد وبيان . فكان من المستحسن أن يصنع الأستاذ لها شرحاً أو منجماً يلحقه بنهاية الكتاب ، كما فعل من قبلُ الخورى نعمة الله الأسمر ، حينما نشر ترجمة ابن الهبارية لكليلة ودمنة ، مع أن لغة هذا النظم فى مستوًى دون مستوى ترجمة ابن المقفع

على أن الأستاذ قد أحسن صنعاً بما حقق من الأعلام الفارسية والهندية ، مما يشهد له بتمام البراعة فى ذلك

* * *

قرأت نسخة الأستاذ عزام ، ونعمت — كما نعم غيرى — بما فيها من دقة وجمال ، فطالعنى فيها خير كثير ومقدرة فنية عظيمة ، كما ظهرت لى بعض هنات أحببت أن أنبه عليها ، وبدا لى بعض الرأى فى عبارات الكتاب ، فآثرت أن أنشره راجياً أن يباعدنى المَنتُ ، ويفارقنى التكلف ، وأن يسعفنى فى ذلك الحق

١ — فى الضبط اللغوى

١ — ص ٣٦ س ٦ : (كالعظم المتمرّق) بكسر الراء ، صوابه : (المتمرّق) بفتح الراء المشددة . يقال عرق العظم يعرقه عرقاً ، وتمرقه ، واعترقه : أكل ما عليه من اللحم

٢ — ٨١ : ٥ ، ٦ : (ولكن النفس الواحدة يقتدى بها أهلُ البيت ، وأهل البيت تقتدى بهم القبيلة ، والقبيلة يقتدى بها المصر) . الوجه : (يُقتَدَى) و (تقتَدَى) بالبناء للمجهول فيهما . فأهل البيت ، وكذا القبيلة والمصر لا يفعلون الاقتداء ، وإنما يفعل بهم ذلك غيرهم فهم مقتَدون . ومن ذلك ما قال كعب بن سعد الغنوى[1] :

فلو كان حىٌّ يُفتَدى نفديتُه بما لم تكن عنه النفوس تطيب

٣ — ٨٧ : ٦ : (ولا تغتر إليه) ، ولا يقال (اغتر إليه) بل (اغتر به) . على أن جر العبارة يؤذن بأن محلها : (ولا تقترب إليه) فليس فيما سبقها من الكلام ما يشعر بأن « شنزبة » قد يتعرض للاغترار أو يقع فيه

٤ — ٩١ : ١٢ : (وندفن بقيتها مكاناً حريزاً) . وهذه عبارة غير صحيحة . والصواب : (فى مكان حريز) فإن الفعل (دفن) لا يتعدى إلى ثان إلا بالحرف (فى) . وليس هذا أيضاً من المواضع التى يكون فيها لفظ (مكان) ظرفاً من الظروف المكانية ؛ فإن اسم المكان الصالح للظرفية إما أن يشتق من حدث بمعنى الاستقرار والكون فى مكان ، أو لا . والثانى لا ينتصب على الظرفية إلا بالفعل الذى ينتصب به على الظرفية المختص من المكان كدخلت ونزلت وسكنت . وذلك نحو المضرب والمقتل والمأكل والمشرب

والأول (ومنه لفظ مكان) إنما ينصبه على الظرفية أمران : أحدهما الفعل المشتق مما اشتق منه اسم المكان نحو قمت مقامه ، وجلست مجلسه ، وأويت مأواه ؛ وثانيهما كل ما فيه معنى الاستقرار وإن لم يشتق مما اشتق منه ، نحو قعدت موضعك ، ومكان زيد ، وجلست منزلَ فلان ، ونمت مبيته ، وأقمت مشتاه . وما ليس فيه معنى الاستقرار لا ينصبه ، فلا يقال كتبت الكتاب مكانك ، وقتلته مكان القراءة ، وشتمتك منزل فلان[1]

وليس « الدفن » من الاستقرار فى شىء ، فلا ينصب لفظ « المكان » على الظرفية المكانية

وقد جاء فى نسخة بولاق[2] ص ٤٩ : « وندفن الباقى فى أصل هذه الشجرة ، فهو مكان حريز »

٥ — ٩٥ : ١٣ « وبلاء يضيّع عند من لا شكر له » البلاء هنا بمعنى الإنعام . وفى ترجمة ابن الهبّارية ص ٩٥ :

ما أضيع النعمة عند الكافر وأقبح الحُلّة عند الهاجر

وبين اللغويين خلاف فى أن يكون البلاء بمعنى الإنعام ؛ فقال بعضهم : « الإبلاء : الإنعام . والبلاء : الإشقاء والإنعاس » . أما الإبلاء بمعنى الإنعام فلا خلاف فيه . ومنه قول زهير[3]

رأى الله بالإحسان ما فعلا بكم فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو

أى صنع بهما خير الصنيع . والحق أن الإنعام إنما هو الإبلاء لا البلاء . ومنه الحديث : « من أُبلى فذكر فقد شكر » وحديث كعب بن مالك : « ما علمت أحداً أبلاه الله خيراً مما أبلانى »[4]

وقد احتج من زعم أن « البلاء » يكون أيضاً بمعنى الإنعام بقوله تعالى : « وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين » وقوله : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » وردّ عليه بأن البلاء فى الآية الأولى

(١) أمالى القالى (٢ : ١٤٩)

(١) انظر همع الهوامع (١ : ١٩٩) وشرح الرضى الكافية (١ : ١٦٩ — ١٧٠)

(٢) كليلة ودمنة طبع بولاق سنة ١٢٥١

(٣) فى ديوانه ٢١

(٤) نهاية ابن الأثير ولسان العرب

بمعنى الاختبار لا الإنعام . وكذلك «نبلوكم» أريد بها : «نختبركم»

وجاء فى نسخة بولاق ص ٥١ : « وجباء يصطنع عند من لا شكر له » . والجباء ، بالكسر : العطاء

٦ — ٢٢١ : ١٥ : « ولكن إيش الفائدة فيها » بكسر الهمزة ، وهذا ضبط عامى ؛ والصواب : (أَيْشِ) بفتح الهمزة وتنوين الشين المكسورة ، وأصلها : (أىّ شىء ؟) خفّفت بحذف الياء الثانية من (أىّ) وحذف همزة (شىء) بعد أن نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، ثم أعلّت إعلال المنقوص . ونحوها فى ذلك (وَيْلُمِّهِ) ، أصلها : (ويلٌ لأمّه) ، حذفت لام (ويل) وهمزة (أمّ) . قال المتنخل الهذلى[1] :

ويلمِّه رجلاً تأتى به غبناً إذا تجرّد لا خال ولا بخلُ

وقال ذو الرمّة[2] :

ويلمِّها روحةً والريحُ معصفةٌ والليث مرتجزٌ والليل مقترب

وقال علقمة بن عبدة[3] :

ويلم أيام الشباب مميشةً مع الكثيرِ يعطاه الفتى المتلف النَّدى

قال ابن السيد فى الاقتضاب[4] : « حذف لام ويل وهمزة أمّ ، كما قالوا أيش لك ، يريدون : أى شىء ؟ » . وقال الخفاجى فى شفاء الغليل : « أيش بمعنى أى شىء خفف منه . نص عليه ابن السيد فى شرح أدب الكاتب ، وصرحوا بأنه سمع من العرب . وقال بعض الأئمة : جنّبونا أيش ؛ تذهب إلى أنها مولدة . وقول الشريف فى حواشى الرضى أنها كلمة مستقلة[1] بمعنى أى شىء وليست مخففة منها ، ليس بشىء . ووقع فى شعر قديم[2] أنشدوه فى السير :

من آل قحطان وآل أيش »

قال السهيلى فى تفسيره : « وأما آل أيش فيحتمل أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين ينسبون إلى أيش . فإن يكن هذا وإلا فله معنى فى المدح غريب . تقول فلان أيش هو وابن أيش ! ومعناه : أى شىء عظيم ؛ فكأنه أراد من آل قحطان ومن المهاجرين الذين يقال فيهم مثل هذا ، كما تقول : هم وما هم ! وزيد وما زيد ، وأى شىء زيد ! وأيش فى معنى أى شىء كما يقال ويله فى معنى ويل أمه ، على الحذف وكثرة الاستعمال . وهذا كما قال هو : فى جيش وأى جيش ! »

(له بقية)

عبد السلام محمد هارون

(١) أدب الكاتب ١٨٣ سلفية والاقتضاب ٣٦٣

(٢) خزانة الأدب (٣ : ٢٤٨ سلفية)

(٣) الخزانة (٣ : ٢٥٣ سلفية)

(٤) الاقتضاب ٣٦٥ . وانظر أيضاً تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقى ص ٤٧

(١) فى الأصل : « مستعملة »

(٢) هذا وهم . والصواب أنه سجع كاهن . وقد ذكره السهيلى فى (١ : ١٣٨) . وهو قول خطر الكاهن : « والحياة والعيش ، إنه لمن قريش ؛ ما فى حلمه طيش ، ولا فى خلقه هيش ، يكون فى جيش ، وأى جيش ، من آل قحطان وآل أيش »

إلى ضحايا المغناطيسية والى المصابين بالاضطرابات العصبية

ترسل تعليمات مجانية عن شرح طرق وتدريبات تعلمك كيف تتخلص من الخوف والوهم والخجل والكآبة والوسواس ومن جميع الاضطرابات العصبية والعادات الضارة كشرب الدخان ومن العلل والآلام الجسدية وفى تقوية الذاكرة والإرادة ودراسة الفنون المغناطيسية لمن أراد احتراف التنويم المغناطيسى والحصول على دبلوم فى هذا الفن اكتب إلى الأستاذ ألفريد توما ٧١٩ شارع الخليج المصرى بشبرة بمصر وارفق بطلبك ١٥ مليما طوابع للمصاريف فتصلك التعليمات مجاناً .

هكذا أغنى

شاعر الخالد

محمود حسن اسماعيل

أرقى مثال لنهضة الشعر العربى

تباع بقية نسخ الطبعة الأولى

« بدار الكتب الأهلية »

بميدان الأوبرا

بسعر النسخة ١٠ قروش خلاف البريد

الحروب الصليبية

للأستاذ ر. التميمي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

تطورات الحركة الصليبية

لقد كانت الغاية الأولى من إشهار الحرب الصليبية امتلاك الأرض المقدسة وجعلها خاضعة لحكم مسيحي ؛ فلما ظهر قواد كبار في الشرق الإسلامي أمثال : نور الدين وصلاح الدين ، ورأوا مملكة اللاتين لم تنشأ في الشرق إلا بسبب تخاذل المسلمين وتفرقهم ، أخذوا يستعدون لمطاردتهم والقضاء عليهم وهيأوا لذلك جيوشاً مدربة تطورت على أثرها الحركة الصليبية ودب الضعف في جنباتها وفي نفوس منظميها وقوادها .

ولقد تطرق إليها الفشل أيضاً حينما أخذ البابوات يقاتلون آل هوهن شتاوفن وينازعونهم الحكم في جنوب إيطاليا وشمالها ، فتجزأت قواتهم وانصرف الجانب الأكبر من عملهم وتفكيرهم إلى إضعاف قوة مسيحية كان عليهم أن يوجهوها إلى تعزيز الفكرة الصليبية إذا أرادوا استمرارها . ويقول بعض المؤرخين إن لأطماع الجمهوريات الطليانية دخلاً كبيراً في التطورات التي طرأت على الفكرة الصليبية ، إذ أن البندقة كانوا السبب الأكبر في توجيه الحملة الرابعة إلى القسطنطينية وسائر ممتلكات البيزنطيين بدلاً من فلسطين وهم الذين كانوا يختلقون لأسباب مادية مع تجار جنوا فيضعفون باختلافهم الجبهة المسيحية . وقد أباحوا لأنفسهم التقرب من بعض ملوك المسلمين وأمرائهم ، فعقدوا مثلاً معاهدة تجارية مع الملك الكامل بينما كان العالم الغربي يستعد للحملة الصليبية الخامسة .

لقد تكرر حادث عقد المعاهدات مع المسلمين أكثر من مرة ، فعقدها كل من ملوك صقلية والأراغون وجمهورية جنوا قبيل سقوط عكا النهائي في يد سلطان مصر . كل ذلك أضعف الروح الصليبية وحور اتجاهها وخفف كثيراً من حدتها .

أضف إلى كل ما تقدم النزاع الشديد الذي كان قائماً بين رهبان طائفتي الداوية والاسبتالية وانصراف كل فريق إلى الحط من كرامة الآخر واتهامه بأفظع التهم تأميناً لمنافع مادية ليس لها أية علاقة بمجد الصليب والحركة الصليبية .

ويفهم مما تقدم أن الحركة الصليبية قد باءت بالفشل التام بعد أن انتقلت القدس نهائياً إلى أيد إسلامية مع سائر البلاد الفلسطينية ، ثم تلا ذلك سقوط عكا وطرابلس وأنطاكية وهي آخر الحصون اللاتينية وطرد آخر صليبي من الديار الشامية في أواخر القرن الثالث عشر . وبهذا السقوط وذلك الطرد ختم الفصل الأخير من الحركة الصليبية التي كانت ألفت لغاية نصرانية كبرى أقامت العالم الغربي وأقعدته وانتقل بسببها مئات الألوف من الفرسان والأمراء وسائر المحاربين إلى ساحات القتال في الشرق ، ومنهم من قضى نحبه ، وفيهم من حكم أو أصبح ذا سلطان وإمرة بعد أن كان في وطنه الفقير مفلساً لا يملك شروى نقير ؛ والجانب الأكبر عاد إلى موطنه يجر ذيول الخسران وعار الهزيمة .

ومجمل القول أن الحركة تطورت وباءت بالفشل حين تغيرت غايات المشرفين عليها والمنظمين لها ؛ فباباوات القرن الثاني عشر الذين كانوا يتمتعون بسلطان منقطع النظير كانوا وطدوا العزم على امتلاك القدس فاستعملوا سلطانهم وسؤددهم وقذفوا بالجماهير السذج نحو الشرق حيث امتلكوا ما أرادوا . أما باباوات القرن الرابع عشر فلقد كانوا على اختلاف دائم مع ملوك ذلك العصر الذين أخذوا يشعرون بقوتهم وينكرون على السلطة الدينية تدخلها في شؤونهم الداخلية والسياسية ؛ وقد بلغ بأولئك الملوك وفي مقدمتهم فيليب الرابع ملك فرنسا وإدورد الأول ملك انكلترا أن رفضوا أوامر البابا وتغاضوا عن تهديداته ؛ وكان النزاع يدور حول فرض الضرائب على رجال الدين بعد أن كانوا معفين منها ؛ وكانت الكنيسة ترفض ذلك مدعية أن أرض الكنيسة موقوفة لخدمة الله فلا يصح أن يؤخذ عنها ضرائب . أما الملوك فإنهم كانوا في أشد الحاجة للمال بسبب كثرة نفقاتهم ؛ لذلك طمعوا في ممتلكات رجال الدين الواسعة ورغبوا في فرض ضرائب عليها ؛ وفي ظروف كهذه ليس من المعقول أن يكون أمل في تجديد حملات صليبية على نمط الحملات السابقة

ومع كل ما تقدم فكر بعضهم عقب سقوط القدس

وسائر الإمارات اللاتينية نهائياً فى أيدى المسلمين ، فى تأليف حملة صليبية جديدة ، والسعى فى إحلال التفاهم محل التنابذ والتحاسد بين رهبان الداوية والاسبتالية . وقد كان فكر فى هذا الأمر فى مجمع ليون المنعقد سنة ١٢٤٥ ، وتقرر القيام به أيضاً فى مؤتمر قينا الدينى سنة ١٣١١ ؛ على أن رغبته فى التوفيق بين هؤلاء الرهبان لم تتحقق وانتهى الأمر بأن قضى على هيأة الداوية وصادر ملك فرنسا فيليب الرابع أملاكها وأموالها بعد أن تقاسمها مع البابا . أما رغبة تأليف حملة صليبية جديدة فلم يلتفت إليها حينئذ سوى بطرس الأول ملك قبرص الذى كان يحكم فى أواسط القرن الرابع عشر ؛ فلقد أنشأ جمعية دعاها جمعية السيف وغايتها تخليص القدس ، ثم أرسل وفداً إلى غربى أوربا قام بالتبشير والدعاية لتأليف حملة صليبية جديدة فلم ينجح ، فأرسل بطرس أسطولاً اعتدى على شطوط سوريا ومصر وعاد للجزيرة غانماً . وحين مات بطرس هذا أوصى بوجوب متابعة الدعاية لحملة صليبية . واعتباراً من سنة ١٣٣٠ ارتدت الحركة الصليبية حلة جديدة لم تعرف من قبل ، فبينما كان الصليبيون حتى الآن يهاجمون كلما سنحت الظروف بلاد الاسلام فى الشرق وأهمها سوريا ومصر ، انقلبوا الآن إلى مدافعين ، وأضحى خصمهم الأتراك العثمانيين بدل العرب والأكراد والأتراك من سلاجقة ومماليك . . .

لقد جاء الأتراك العثمانيون إلى أوربا الشرقية سنة ١٣٠٨ م بعد أن أنشأوا ملكا واسعاً لهم فى آسيا الصغرى فى فجر القرن الرابع عشر وبنوا مجدهم وسطوتهم الحربية بجيش مدرب ومجهز أحسن تجهيز دعوه بجيش الإنكشارية (الينيشرية) ومعناها الجيش الجديد ، فأخذوا يهاجمون به البيزنطيين ويتغلبون عليهم ، ويدمرون لهم الحصن بعد الحصن ، ويقهرون الجيش تلو الجيش ، حتى يأتوا على مقربة من عاصمتهم . هذا من جهة ؛ ومن جهة أخرى هاجموا فرسان الاسبتالية فى رودس وآل لوزينيان فى قبرص ؛ فذعر العالم المسيحى لهذا الخطر الاسلامى الجديد ، وهب البابوات ينفضون عنهم غبار الخمول والسكنة ؛ ويحاولون تجديد جبهة صليبية قوية تقف فى وجه أولئك الأتراك الأقوياء ، وظلوا يثابرون على حشد الجهود تلو الجهود ، وأخذ الناس بالنصرة الدينية إلى أن وصلوا فعلاً إلى تأليف حملة قوية من البنادقة والقبارصة وفرسان الاسبتالية وكلهم بأتوا مهددين ؛ فجاءوا بأسطولهم المتحد وامتلكوا مرفأ أزمير سنة ١٣٤٤ ؛ إلا أن هذا الظفر لم يكن ليؤثر فى نشاط الأتراك وتقدمهم فلقد واصلوا نجاحهم فى البلقان وامتلكوا مدينة فيليبية البلغارية ؛ وعلى أثر ذلك جاءت حملة صليبية واشتبكت مع جيش السلطان بايزيد الأول فانكسرت شر كسرة

وفى سنة ١٤٣٩ تألفت حملة صليبية أخرى من المجريين والبولونيين تحت رياسة قائد ترانسيلوانى ممتاز يدعى يوحنا هنياد وحاربت السلطان بايزيد الثانى وتغلبت عليه ؛ إلا أنها لم تلبث أن غلبت على أمرها ، فكانت هذه آخر حملة جردتها أوربا المسيحية على الأتراك المسلمين

وفى سنة ١٤٥٣ ملك الأتراك العثمانية القسطنطينية ، وبامتلاكها قضوا نهائياً على الأمبراطورية البيزنطية . وعلى أثر ذلك قام البابا بيوس الثانى ونشر دعاية واسعة النطاق لحملة صليبية وقاد طائفة من المحاربين لبت نداءه إلى مدينة أنكونا الطليانية ، وكان يريد أن يزحف بها على البلقان ليقاتل الأتراك ؛ إلا أن أفراد الحملة انفضوا من حوله فحزن البابا لتلك النهاية ومات متأثراً غاضباً .

وبعد ذلك لم نعد نسمع بحملات تحمل اسم الصليبية وانتقلت مهمة منازلة الأتراك المسلمين إلى ملوك أوربا الحديثة وإلى جيوشها المنظمة

وقبل الانتهاء من هذا الفصل لابد لنا من القول بأن الحركة الديموقراطية قد أثرت كثيراً فى عقول الناس وفى طريقة التفكير الأوربى بالمسلمين ؛ فبينما كان هم البابوات وسائر رجال الدين ومن ورائهم الملوك والامراء والفرسان والعامة خلال القرون الوسطى هو القضاء التام على الديانة الإسلامية وامتلاك بلاد المسلمين أخذت الاحوال تتبدل منذ عهد اليقظة إلى أن حل القرن الثامن عشر ، فظهر فيه حكماء وفلاسفة بشروا بحرية الأديان وبمبادىء التسامح والتساهل وظلوا فى تبشيرهم حتى أثروا فى عقول فريق ليس بقليل من الناس المثقفين ، فصاروا ينظرون إلى الشرقيين لا بمنظار التعصب الأعمى والحقد الكامن بل بصفتهم أحد أركان هذه الهيأة البشرية التى ساهمت فى إقامة

صروح المدنية على ممر الأجيال والعصور

ومبادىء التساهل هذه قد انتشرت انتشاراً واسعاً خلال القرنين التاسع عشر والعشرين فاقترب بسببها الشرق من الغربي أكثر من قبل، ولعبت المصالح المادية الدور الأول في إقامة العلاقات الودية بين الطرفين، وصار الغربي يتودد في كثير من الأحيان إلى الشرق دون أن ينظر إلى دينه، ويخلص في تودده؛ على أن هذا لا يمنعنا من التنبيه إلى ما يكتبه بعض المؤرخين المغرضين وهم ما زالوا يحرصون كل الحرص على مبادىء التعصب والحقد التي سادت دنياهم منذ العصور الوسطى المظلمة، وقد نجد من هؤلاء من ينفث سمومه في صحف ومجلات محترمة أوربية وأميركية وتراه يحمل حملات شعواء على العرب مثلاً ولا ذنب لهم في نظره إلا لأنهم مسلمون وهو لا يحب الإسلام ولا المسلمين، ويريد أن يرى في الحرب العالمية السابقة حرباً صليبية انتهت بظفر الصليبيين على الهلال ودخول البلاد المقدسة تحت الحكم الإنكليزي

نتائج الحروب الصليبية

من المناسب أن ننظر إلى الحركة الصليبية كجزء أو فصل من تاريخ البشرية، لا كعمل أريد به تنصير الشعوب الشرقية؛ وتاريخ هذا الفصل صعب جداً، لأنك بينما تجد بعض المؤرخين يذهبون إلى أن معظم التطورات الاجتماعية العالية قد نشأت عن الحروب الصليبية، يقول آخرون خلاف ذلك فلا يهتمون أبداً بتلك الحروب الاهتمام الذي تستحقه

على أن من الإنصاف أن نقول ونقرر بأن اضمحلال عهد الإقطاع وظهور المدن الحرة وبشائر عهد اليقظة، حتى والاكتشافات البحرية، كل أولئك يمكن إرجاعه إلى حد ما إلى الحركة الصليبية

ففي أوائل القرن الحادي عشر كان الأشراف والفرسان أول من لبى نداء البابا، وخرج منهم عدد كبير إلى الشرق قتل أكثرهم، وأقام آخرون في الأراضي المقدسة، فقل بذلك عدد الأشراف. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن إعداد الحملات الصليبية قد اضطر هؤلاء إلى بيع أملاكهم كلها أو بعضها كما اضطرهم إلى تحرير أرقائهم مقابل مبالغ دفعوها إليهم، وقد أقام أولئك العتقاء في المدن واشتغلوا بالصناعة والتجارة، فزادت أهمية المدن وظهرت فيها طبقة جديدة هي الطبقة الوسطى المؤلفة من أولئك الذين حرروا أنفسهم بما دفعوه لساداتهم النبلاء. ولقد استطاعت هذه المدن بفضل جد أبنائها من أرباب الصناعة والتجارة أن تشتري هي أيضاً حريتها من الأشراف ذوي السيادة عليها وتكتفي بحماية الملك أو الإمبراطور

وأما بوادر النهضة واليقظة فقد ظهرت حين اتصل نصارى الغرب بمسلمي الشرق وأخذوا عنهم ما سمعوه من أغان وأحاديث واطلعوا على تاريخ البلاد الآسيوية وجغرافيتها وهي التي أيقظت العالم الغربي من سباته العميق وجمعت كلمته على عمل مشترك بعد أن كانت الفردية فيها مستحكمة العرى وكانت الفكرة القومية كلمة لا معنى لها، فكان البارزي مثلاً ينظر إلى ابن مرسيليا نظره إلى الألماني الأجنبي عنه أو الإنكليزي، وذلك لأن الطرق لم تكن ممهدة ووسائل التنقل نادرة صعبة، فكان الناس لا يعرفون إلا من جاورهم من السكان، فلما ضمتهم الحروب الصليبية تحت لواء واحد تعارف أبناء الأمة الواحدة وتآلفوا. ثم أيقظت هذه الحروب بين النصارى فكرة الدفاع عن مبدأ مشترك مقدس وهذا ما كان يقوم في العصور الوسطى مقام المبادئ المشتركة التي تربط جيلنا المتحضر مثل نظرية الحرية المدنية والسياسية وتقرير المصير واحترام العهود والمواثيق

ومن نتائج الحروب الصليبية قيام فريق من الملوك الأوربيين بجمع الضرائب الثابتة من رعاياهم، فقد باشر بجمعها لويس السابع ملك فرنسا فتبعه هنري الثاني ملك انكلترا، ثم جبيت ضريبة صلاح الدين في معظم العالم الغربي سنة ١١٨٨ ولم تقتصر الضرائب هذه على الأهلين بل تناولت أيضاً رجال الكنيسة وذلك بقرار استحصله البابا أينوسن الثالث في مجمع لاتيران الديني سنة ١٢١٥ على أن تنفق تلك الضرائب على الحروب الصليبية

وحينما جاء الفرنج ساحات الحرب في الشرق لم يفكروا في تنصير المسلمين بادئ بدء، فلما مضى عليهم نحو عصر استيقظوا من غفلتهم، وكأنهم أرادوا أن يتلافوا ما فاتهم بالتبشير بالدين المسيحي ودعوة الشرقيين إلى التنصر فقاموا قومة واحدة وعلى رأسهم البابا، وأخذوا يبعثون إلى ديار الشرق وإلى قبائل التتار مبشرين انتشروا في جميع البلاد الواقعة بين عكا والإمارات اللاتينية الشامية من جهة، وسد الصين من جهة أخرى؛ وكان النصارى مع البابوات يعلقون آمالاً كبيرة على تنصير التتار.

٢ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

مقدمة الكتاب

البلد وسكانه ـ العاصمة ـ المنازل ـ الملابس

من المشاهد أن أكثر الخصائص لشمائل أمة وعاداتها وأخلاقها، إنما يرجع إلى الخصائص الطبيعية لإقليم هذه الأمة. فخصائص الإقليم المصري تؤثر ولا شك في أحوال المصريين الأخلاقية والاجتماعية، وهي لذلك تقتضينا كلمة إيضاحية نجمل فيها الآثار العامة؛ أما الآثار الخاصة، فستتجلى في الفصول الآتية من هذا الكتاب

يجري النيل في وادي مصر العليا الشديد الضيق الكثير الزيغ بين صحراوين جبليتين رمليتين، حتى يجتاز سهول مصر السفلى؛ وهو في مجراه تكتنفه في كل مكان، ما خلا مواضع قليلة منه، حقول زراعية تكونت من غريته؛ وهذه المناطق الزراعية ليست مستوية كل الاستواء لانخفاضها عند الصحراء وارتفاعها قليلاً عند النهر؛ يتخللها غابات من النخل وسلاسل من القرى، وتقطعها ترع عديدة

تصل أمطار الصيف الغزيرة التي تقع في الحبشة وما جاورها من البلاد أرض مصر حول الانتقال الصيفي؛ وعند الاعتدال الخريفي يبلغ النهر أقصى فيضانه، فيُترع النهيرات والقنوات التي تروي الحقول، ويغمر بقاعاً واسعة من الأرض الصالحة للزراعة، ثم يهبط تدريجياً حتى يعود سيرته الأولى. ويحمل النيل معه، وعلى الأخص في وقت الفيضان الغزيرين (الطمي) الذي يجرفه من البلاد الجبلية حيث ينبع، فيوزع في كل سنة هذا الغرين الوفر على الحقول المنبسطة على جانبيه، بالفيضان

فلما حكم هؤلاء تيمورلنك قضى على فكرة التبشير وحمل أبناء قومه على اعتناق الديانة الإسلامية

وقد نقل الفرنج من سوريا أموراً كثيرة إلى بلادهم. فالفرسان منهم أخذوا عن العرب القوس والطبل والبيرق والرمح. وقد كانت الفروسية في مهدها عربية أخذها الفرنج عن فرسان العرب الذين كانوا يغيرون على بلادهم خلال العصرين الثامن والتاسع. ويقول سديو المؤرخ الفرنسي: «إن خلال الفروسية الأندلسية وشمائلها الرقيقة كانت مستقى أخذت منه الفروسية النصرانية الكثير من خلالها ورسومها». ويقول فياردو: «إن الفروسية وكل نظمها التي عرفت في الأمم النصرانية كانت مزدهرة عند الأندلسيين أيام الناصر والحكم والحاجب المنصور، وكانت الأندلس في ذلك العصر كعبة يقصدها فرسان النصرانية من كل صوب بعهد سلام وحماية من الخلفاء ليعقدوا المباريات مع فرسان الإسلام. وقد بلغت الفروسية العربية أسمى درجاتها وذروة ازدهارها في مملكة غرناطة التي يفيض تاريخها بأخبار السادة والأمجاد وأحاديث شهامتهم ووفائهم

فالألعاب الفروسية أصلها سباق الجريد المعروف عند العرب، والمبارزة، وما يتبعها من آداب اجتماعية، مثل تقديم المساعدة للمرأة والولد والشيخ العاجز، والوفاء بالوعد، والتجمل بمبادئ الرجولة، والمروءة، والكرم، كل أولئك أشياء معروفة عند العرب الذين كانت طبيعة بلادهم وحياتهم الاجتماعية في صحرائهم المترامية الأطراف وشدة عنايتهم بضروب الفروسية تحملهم على الاعتماد على السواعد المفتولة في بلوغ ما يصبون إليه من صفات الرجولة أكثر من اعتمادهم على شيء آخر. كما نقل الفرنج إلى بلادهم بعض المحصولات النباتية كالسمسم والمشمش والبطيخ والقرنة والليمون والشمام والقطن والسكر.

هذا عدا أشياء وأمور وعادات شرقية كثيرة انتقلت إليهم عن طريق الأندلس وصقلية. كل ذلك يبرهن على مبلغ التأثير الكبير للحروب الصليبية في حياة الأمم الاجتماعية في الديار الغربية

(فلسطين) ـ التميمي

الطبيعي أو بالري الصناعي ؛ بينما يرتفع مجراه من تراكم هذا الفيضان بدرجة مساوية لارتفاع الحقول . ويعتمد المصريون جميعاً على نهرهم في خصب الأرض ، لأن المطر ظاهرة نادرة جداً في بلادهم ، ما عدا البلاد الواقعة على سواحل البحر المتوسط . ولما كانت الفصول منتظمة كل الانتظام ، فإن الفلاح يمكنه أن يرتب العمل الواجب إنجازه بكل دقة . وعمل الفلاح على الجملة سهل ، ولكن رفع المياه الري شاق متعب !

ومناخ مصر — في معظم السنة — ملائم للصحة إلى درجة تستحق الذكر . غير أن الأبخرة المتصاعدة من الأرض بعد الفيضان تجعل أواخر الخريف أقل ملاءمة للصحة ، فهي تسبب الرمد والديسنطاريا وبعض أمراض أخرى تكون أكثر شيوعاً في الخريف منها في الفصول الأخرى . وتهب فجأة رياح جنوبية حارة تدوم ثلاثة أيام في وقت الخماسين[1] التي تدوم على وجه التقريب خمسين يوماً تبدأ في شهر أبريل وتنتهي في آخر مايو ؛ وتلك الرياح يندر أن ترتفع منها الحرارة فوق ٩٥ درجة فاهرنهايت في الوجه البحري ، أو ١٠٥ درجة[2] في الوجه القبلي ؛ إلا أنها تكرب الأنفاس وتضيق الصدور . وفي الصيف يفد الطاعون إلى مصر ، ويكون أشد خطراً في مدة الخماسين . ومصر معرضة أيضاً في الربيع وفي الصيف لريح السموم ، وهي أشد وطأة من رياح الخماسين ، ولكنها أقصر مدة ، إذ يندر أن تدوم أكثر من ربع ساعة أو عشرين دقيقة ؛ وهي تهب عامة من الجنوب الشرقي حاملة معها سحباً من الغبار والرمال . وتتراوح الحرارة في منتصف الشتاء بعد الظهر في الوجه البحري بين الخمسين والستين درجة في الظل . أما في أشد الفصول حرارة فتتراوح بين التسعين والمائة درجة . ويزيد على ذلك حوالي عشر درجات في مناطق الصعيد الجنوبية . على أن حرارة الصيف مهما بلغت شدتها قلما تضايق النفس ، لأن النسيم الشمالي يلطفها ، ولأن المناخ شديد الجفاف . إلا أن هناك مصدراً كبيراً للضيق يصيبه ذلك الجفاف ، وهو كثرة الغبار . وهناك أوبئة أخرى تقلل كثيراً من الراحة التي ينعم بها المصريون وضيوفهم في هذا المناخ البهيج . ويكثر الذباب في الربيع والصيف والخريف كثرة مزعجة أثناء النهار . أما في الليل فينتشر البعوض انتشاراً يقض المضاجع ما لم يتقه النائم بالكلة . وعملاً الهق أثناء الفصل الحار كل المنازل ذات الأثاث الخشبي . ولا يمكن تجنب القمل في أي فصل ، ولكن من السهل التخلص منه . أما البراغيث فتكثر في الشتاء كثرة مزعجة

ومناخ الصعيد أكثر ملاءمة للصحة من الريف وإن كان أشد حرارة . وقلما ينتشر الطاعون فيما وراء القاهرة . وهو أكثر انتشاراً في مناطق المستنقعات القريبة من البحر المتوسط . وفي أثناء السنين العشر الأخيرة ، قبل زيارتي الثانية لمصر ، لم تحدث غير إصابات قليلة جداً ، إلا في الأقاليم السابقة الذكر ؛ وهذه لم يكن الوباء فيها شديداً[1] ، لأن البلاد تحسن صرف مياهها ، وأدخلت فيها نظم الحاجر الصحية لمنع دخول هذا المرض من بلاد أخرى أو لوقفه . والرمد أكثر انتشاراً في الوجه البحري منه في الأقاليم الجنوبية . وهو يحدث عامة من العرق ؛ ولكن ضرره يتفاقم من الغبار ومن أسباب كثيرة أخرى . وقلما يستفحل خطر هذا المرض إذا أسرع المرضى في استعمال الدواء ، ولكن كثيراً من الوطنيين لجهلهم طريقة العلاج ، أو لإصرارهم على تفويض الأمر للقدر ، يفقدون البصر كله أو بعضه

وكثيراً ما سألني السائلون هل في مصر معمرون ؟ ومن المحقق أن قليلاً من أهل هذا البلد من يبلغ السن العالية ؛ ولكن من

(١) أنظر هامش الفقرة الأولى بفصل ٢٦

(٢) هذه هي الحرارة في الظل وقد لاحظت في مدينة طيبة أن ميزان الحرارة يرتفع إلى ما فوق ١١٠ درجة في الظل أثناء ريح خماسين

(١) هذه الملاحظة كتبت قبل طاعون سنة ١٨٣٥ الهائل الذي دخل من تركيا وانتشر في كل أنحاء مصر ، ولو أن آثاره لم تكن عظيمة في الأقاليم الجنوبية . وقد أهلك ما لا يقل عن عامين ألف نفس في القاهرة ، أي ثلث السكان ، وأزيد بكثير على ما أعتقد من مائتي ألف في كل مصر . وطبقاً لتقرير حكومي بلغ عدد ضحايا هذا الوباء حوالي أربعين ألفاً في القاهرة . ولكن أخبرني جهة رسمية عليا أن الحكومة جرت في هذه الحالة على قاعدة تقرير نصف عدد الأموات فقط

النادر أن يبلغ المرء هذه السن فى بلدنا دون أن يصاب مراراً بمرض مميت لولا عناية الطب التى لا ينالها إلا القليل فى مصر . وحرارة الصيف تنهك الجسم ولكنها تدفع المصريين إلى الإفراط فى الملذات الشهوانية . وخصوبة الأرض تولد الكسل ، فيكتفى المصرى بالقوت القليل ، وهذه الكفاية يحصل عليها بأدنى سعى وأقل مشقة

والعاصمة المصرية الحديثة التى يشغل الحديث عن سكانها أكثر صفحات هذا الكتاب، تسمى الآن « مصر[1] » أو باللفظ الأفصح « مِصر » ؛ ولكنها كانت تسمى من قبلُ القاهرة فصحفها الأوربيون إلى « كايرو » . وموقعها عند مدخل الصعيد فى منتصف المسافة بين النيل وسلسلة المقطم الشرقية ، وبينها وبين النهر بقعة صالحة للزراعة فى أكثر أجزائها . يزيد عرضها على ميل فى المناطق الشمالية (حيث يقع ميناء بولاق) ، ولكنها فى الجنوب أقل من نصف ميل . ومساحة العاصمة تبلغ تقريباً ثلاثة أميال مربعة . وقد أحصى عدد سكانها أثناء زيارتى الثانية فبلغ زهاء مائتين وأربعين ألفاً ؛ وقد زاد هذا العدد بعد ذلك كثيراً بسبب إنقاص عدد الجيش ولأسباب أخرى . والقاهرة محاطة بسور تقفل أبوابه ليلاً ، وتشرف عليها قلعة كبيرة تقع فى زاوية من المدينة بالقرب من الجبل ، وشوارعها ليست مبلطة وأكثرها ضيق غير منتظم ، وهى أحرى بأن تسمى أزقة

وتبدو القاهرة للأجنبى العابر فى شوارعها مدينة ضيقة جداً تغص بالسكان ؛ ولكن الحال تختلف فى نظر من يشرف على المدينة من سطح منزل أو من مأذنة مسجد . وأكبر الشوارع يكون فيه عادة صف من الحوانيت على كل جانب ، وفوق الحوانيت غرف لا تتصل بها ، وقلما تكون مشغولة بمستأجرى الدكاكين وتوجد على أيمان الشوارع الكبيرة وعلى شمائلها دروب وحارات ، وأغلب الدروب طرق مزدحمة لكل منها بوابة من الخشب كبيرة على مدخلها تقفل ليلاً ، ويحرسها بواب من الداخل يفتح لكل من يطلب الدخول . أما الحارات فغالباً ما تتكون من عطفات صغيرة لها مدخل عام واحد ذو بوابة تقفل كذلك ليلاً ، ولكن أكثرها يشقها درب من أولها إلى آخرها

ولا بد لى من وصف دور العاصمة ، وهذه الصورة التى أمامك تعطيك فكرة عامة عن خارج تلك المنازل . وتبنى

شكل ١ — (منزل فى القاهرة)

الجدران الأساسية فى الطابق الأول خارجاً وداخلاً من الحجر الجيرى الناعم ، يقطعونه من الجبال المجاورة . وعند ما يقطع الحجر يكون سطحه ذا لون ضارب إلى الصفرة الخفيفة ، ولكن لونه سريعاً ما يقتم . وتلون خطوط الواجهة أحياناً بالحمرة والبياض على التعاقب خصوصاً فى المبانى الكبيرة كما هو الحال فى أكثر المساجد[1]

(١) هذا هو الاسم الذى يطلقه المصريون المحدثون على بلدهم كما يطلقونه على عاصمة بلدهم

(١) طريقة تزيين الدور أصبحت أعم بكثير مما كانت عليه قبلا بناء على أمر الحكومة طلبت فيه من السكان الاحتفال بقدوم إبراهيم باشا من سورية . وبعد ذلك بسنوات كان سكان القاهرة يأمرون بتبييض طبقات منازلهم العليا ؛ فتشوش هذا منظر المدينة الجميل ، لأن التباين بين بياض الجدران وسواد أخشاب النوافذ القديمة أحدث تأثيراً غير جميل

ويظهر الشارع فى الصورة (شكل ١) أوسع مما هو فى الواقع فإن النوافذ البارزة على جانبى الطريق تكاد تتقابل فتحجب الشمس تقريباً وتحدث رطوبة مقبولة فى الصيف

الإنجليز والعمل

[نقلا من مجلة الشهر الفرنسية]

للأستاذ مصطفى كامل

يضرب المثل بالبرود الإنجليزى ، ولكن النشاط الإنجليزى لا يقل ذيوعاً عنه . وكثيراً ما كان الشعب الإنجليزى فى رأى الأجانب قليل الاكتراث ، بطيئاً فى التصميم ، مفضلاً الاحتفاظ الشديد بعمله وراحته وعاداته اليومية على كل شىء آخر . مع أن هذا الشعب نفسه قد أدهش العالم مراراً بجلده فى المشاق وإصراره الخارق وموارده المادية والأدبية التى لا تنفد ، والتى يستخدمها فى العمل بمجرد شروعه فيه . أخذ بعض الذين عيل صبرهم على الإنجليز أنهم لم يعبأوا بتوغل الألمان واستفزازهم فى أوائل هذه الحرب ؛ ولكن العالم كله اليوم يتحقق من إرادة هذه الحكومة وهذا الشعب التى لا تنثنى أمام أية تضحية ، وفى عدم ادخار أى مجهود لوضع نهاية لتهديد الريخ الثالث للأمم الشرقية ولمجموع العالم المتمدن . فكيف نوفق بين هذين النوعين من الوقائع ؟ سنوضح أنهما غير متناقضين إلا فى الظاهر

فلو أننا تأملنا الشعب الإنجليزى إبان العمل لأدركنا سر تصرفه فى وقت الراحة . فالمتزهو أن العمل عنصر طبيعى للنفس الإنجليزية ، فلا حاجة إلى كلمات بيانية ، أو حركات خطابية لحثه على العمل . إذ أن النفس الإنجليزية لا تستطيع أن تتصور حياة بدونه ، فالتصرف والعمل لهذه النفس ضرورة حيوية وليس نظاماً ، ولهذا لم يكن النشاط المتوالى الذى يفيض منها مكتسباً أو زائفاً أو وقتياً ؛ ولم يكن الهدوء والراحة فى نظر الإنجليزى غير نتائجه المفيدة المرغوبة . ويجب الاعتراف بأن للإنجليزى سيطرة لا تجارى فى العمل تعطيه مع غريزة الاستمرار والتضامن فى الجهود ، قوة تجعل منه أثمن حليف وأنفع صديق

الصرامة فى العمل

وليس أدل على أن الإنجليز شعب عمل من نفس اللغة التى خلقوها لاستعمالهم ؛ فليست توجد لغة أوربية أخرى يهيمن

ويشيد البناء العلوى بالآجر ، وينطى بالكلس أحياناً ، وهو ذو واجهة تبرز حوالى قدمين ، يقوم على كوابيل أو دعائم ؛ والآجر لبن محروق ذو لون أحمر قاتم . ويتكون الملاط من طين بنسبة النصف ، وكلس بنسبة الربع ، والباقى من رماد اللبن والسقط . لذلك تبدو الجدران غير المغشاة بالكلس قذرة اللون كما لو كانت مبنية باللبن . وينطى سطح المنزل بالكلس ، ويكون عادة من غير سور

ويبين الرسم رقم ٢ الأسلوب المعمارى « الأكثر ذيوعاً » لمدخل المنزل القاهرى . فالباب كثيراً ما يزين على هذه الطريقة المصورة ، فيصبغ القسم الذى فيه الكتابة والأقسام الأخرى المتشابهة الشكل بلون أحمر يحده حد أبيض ، بينما تلون بقية الباب باللون الأخضر . أما عبارة « هو الخلاق الباقى » التى سنشرح موضوعها عند الكلام على خرافات المصريين فترى على أبواب كثيرة . وهى تنقش عادة بحروف سوداء أو بيضاء . وقلما تصبغ الأبواب ما عدا أبواب البيوت العظيمة .

ويكون لها على العموم سماعة من الحديد وضبة من الخشب ،

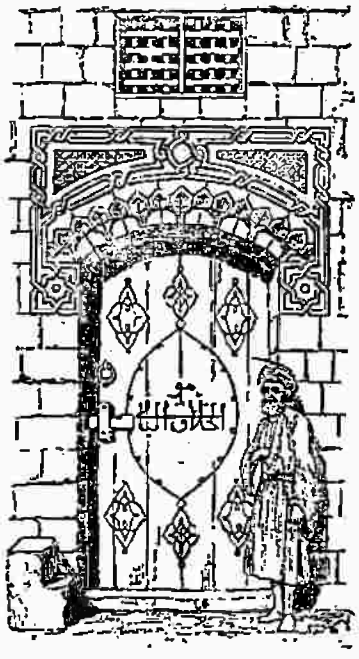

شكل ٢ — (باب منزل قاهرى)

وعلى جانب الباب درجتان من الحجر للركوب[1]

(يتبع)

محمد طاهر نور

(١) وهى المعروفة بسلم التسليم (المترجم)

(الفعل) عليها بهذه الدرجة — أعني التعبير عن الحركة والفعل والنشاط — كما أنه لا توجد لغة لها مثل قدرتها على التعبير الدقيق عن النظام والأمر ، وفي تصوير ما فعل أو ما يتعلق بما يفعل ، بمثل هذا الإيجاز والوضوح

ولكل مراتب الحركة والعمل (فعل) في الإنجليزية ينطبق عليها تماماً بغير ضرورة إلى استعمال ظرف أو أي تعبير للتحديد أو الإيضاح . وفعل يرفس to kick ، وهو مثل من آلاف الأمثلة التي تزخر بها اللغة الإنجليزية ، ليس له مثيل في أية لغة أوربية ، كما أن الفعل في الإنجليزية يتغلغل في الجملة بأكملها ، فيبرز جرسها ويحدد وزنها

والذي تفصح عنه اللغة الإنجليزية ببراعة هو دقائق تكوين الذكاء الإنجليزي الذي تبدو الفكرة في ثناياه كأنها لم تخلق إلا للاستعداد للعمل والترحيب به وجعله سائغاً . وقد ذكر سلفادور دي مادرياجا عن هذا الموضوع في كتابه (الإنجليز والفرنسيون والإسبان) آراء في منتهى السداد والدقة ، قال :

« إن الذكاء الإنجليزي في الدرجة الأولى من القوة ، ويبلغ أقصاه أثناء العمل وعند ما يكون الإنتاج العملي محط النظر ، ولكنه لا يتكلف المشقة من أجل تصرفات لا تجدي ، وهذا هو أحد أسباب الشهرة السيئة التي نسبت إليه ؛ كما أن هناك سبباً آخر ، فذكاء الإنجليزي ، وهو أقل تخصصاً في الأمور الذهنية ، كأنه ذائب في جميع أنحاء جسمه ؛ وهذا ما يفسر بطئه في التحرك ، فإنه لا يكفي أن يحشد التهيج الخارجي قوى المخ وحده بل جميع الجهاز العصبي أيضاً ، كما أن الإدراك لا يتم بالمخ وحده ولكن بجميع الجهاز العصبي كذلك . ولهذا كانت الآلة العقلية في الإنجليزي أكثر تعقداً وثقلاً وبطئاً للبدء في العمل »

وهذه الفكرة التي تركزت في العمل من تلقاء نفسها تتضح في مذهب المنفعة الغريزي الذي نجد الأدلة العديدة عليه في تاريخ انجلترا ، والذي يفسر كثيراً من الأمور في عادات الإنجليز ، فالإنجليزي يتجه قدماً نحو العمل عند ما يتعلق الأمر بالتصرف مهما كانت الوسيلة . ومن السهل عليه أن يقنع بالضروري ، ويكون لديه كل ما لم يفد مباشرة في الغرض الذي تكفل ببلوغه قانعاً عديم الجدوى ، ومع ذلك فإن هذا لا يعني أن العمل يقوم بطريقة تدل على التسرع والشدة والعسف ، بل على العكس ، فإن عادة الإنجليزي في التصرف وفهمه للحياة في ظلال العمل تعلمه أن يتصرف بهدوء وتؤدة ، وتخول له أن يشعر بالراحة وهو في أوج العمل ، وأن يدخل في حسابه على قدر المستطاع أوقاتاً للاستجمام والراحة

والإنجليزي لا يستسلم للاهتياج بسرعة ، ولا للاندفاع إلى العمل بغير أن ينضجه تماماً في ذهنه ، فهو بطيء في التحرك ، ولكنه عند ما تستولي عليه فورة العمل لا يقفه شيء ، فإنه عند ما يتصرف يؤدي عمله بكل جوارحه وقلبه . وكيف لا يكون كذلك وهو في أثناء العمل يشعر أنه كالسمكة في الماء ، لا تشعر وهي في الماء بالحاجة إلى العنف لتسبح ، ولهذا لم يكن في النشاط الإنجليزي أثر من الضيق أو الوهن ، بل تصحبه الابتسامة والراحة

وإننا نجد في بعض رسائل الشاعر الروسي تيوتشيف بتاريخ ٢٥ يونيو ١٨٥٥ قوله : « أما عن العدو — ويقصد الأسطول الإنجليزي في حرب القرم — فقد تبادلت الرسل بين الفريقين هذه الأيام ، ولقد كان بين الطلبات السخيفة التي طلبت منا ، طلب في غاية الغرابة ، هو أن نمنحهم ركناً صغيراً في أرض محايدة ليستطيع رجال أسطولهم أن ينصرفوا إلى لعبتهم المحبوبة (الكريكيت) » .

صحيح إن حرب ١٨٥٥ لا تشبه الحرب في ١٩٣٩ ، ولكن الخلق الانجليزي لم يتغير تغيراً محسوساً ، ومع ذلك فإن طلب البحارة الإنجليز لم يكن سخيفاً كما ظن تيوتشيف ، لأن التدريب الرياضي جزء من نظام التعليم الذي خلق طراز رجل العمل الإنجليزي السكسوني

غريزة التضامن

وهناك مظهر أساسي آخر للنفس الإنجليزية ، هو غريزة التضامن التي تسود العاطفة الشديدة للمنفعة المشتركة والعمل المشترك ؛ فإن النفس الإنجليزية ممتلئة أكثر من أية نفس أخرى بهذه العاطفة . فالتضامن للانجليزي ، سواء أكان مقصوراً على أعضاء الجماعة الصغيرة أم كان يشمل الوطن كله ،

ليس شيئاً معنوياً أو مثلاً أعلى للأخلاق أو الاجتماع ، وإنما هو حقيقة واضحة مادية ، بل هو ضرورة يشعر بالحاجة إليها ، وكل أمة جديرة بهذا الاسم تتآزر في الخطر إذا داهمها من الخارج ، ولكن ذلك يكون عن اقتناع بالضرورة إليه ؛ أما في انجلترا ، فإن الذي نراه في مثل هذه الحالات هو غريزة غير واعية ، ولو أنها سليمة الإدراك ، وهي تشبه من بعض الوجوه الغريزة التي تثير أعضاء فريق الكريكيت عند ما يتعلق الأمر بالدفاع عن الشرف الرياضي لقرية أو مدرسة . وقد أصبحت التقاليد والتعليم طبيعة ثانية ، فإنه في الخلايا الاجتماعية الصغيرة وفي الحياة اليومية تتكون على التحقيق الغريزة التي يمكن أن توحد ، عند ما تسنح الفرصة ، بين جميع انجلترا ، وكل الأمبراطورية ، بل بين جميع العالم السكسوني الإنجليزي

وغريزة التضامن مصدر للنظام الاختياري الذي لا يشبه النظام الفرنسي ولا النظام الألماني من باب أولى ، فإن الألماني يخضع لأمر ، والفرنسي يخضع لمبدأ ، والانجليزي يخضع لنفسه ، لغريزته ، لرغبة الحياة في المجموع ، وهي رغبة طبيعية لديه بمقدار الرغبة في الحياة . النظام الألماني رق اختياري ، والنظام الفرنسي خضوع الإرادة للآراء الواضحة البينة ؛ أما النظام الإنجليزي فهو فيض غريزة خاصة بكل إنجليزي ، وهو وثيق الصلة بفكرة الخدمة : الخدمة التي يؤديها الإنسان طواعية إلى قريبه ، لا الخدمة التي يؤديها الشخص إلى متبوعه . وكلمة موظف تترجم في الإنجليزية (بالخادم المدني) ، فإن لفكرة الخدمة الاجتماعية عند الإنجليزي معنى يشبه المعاني الدينية . ومن الواجبات الرئيسية على رجال الدين الانجليكانيين والبروتستنت في انجلترا غرس الخدمة الاجتماعية ، ومكافحة البؤس والأماكن غير الصحية ، وتنظيم الإحسان العام ومقاومة البطالة ، وتعويد الإنسان أن يكون نافعاً على أية صورة وبأية وسيلة ؛ ولكن ذلك غير مقصور على الكنائس والقسس فحسب ، ولكن التعاون الاختياري منتشر بين جميع الطبقات وفي جميع ولايات المملكة المتحدة ، وفي مجموع العالم الانجلوسكسوني

ولتفهم غريزة التضامن الانجليزية يجب التنويه على الأخص بأنه تضامن إيجابي في العمل ، وليس عاطفة سلبية بتحمل المسؤولية المشتركة مما يمكن أن نجدها كذلك في الشعوب الأخرى ، فإن الصدارة في العمل تتأكد في هذا الميدان كما تتأكد في مجال الاستمرار التاريخي ، في التقاليد الحية . ففي اللحظة التي يهدد الخطر بلاده فيها ، وتكون الضرورة إلى العمل المشترك لا محيص عنها ، يتجه الانجليزي بكليته نهائياً إلى تقليده وإلى جماعته ، وعندئذ تبلغ عبقريته الفردية أقصى قوتها وتتكشف عن كافة مواردها

إن أهم ما يريد الانجليزي قوله يقوله في صوت خافت ، فإذا كان قلقاً بدا أكثر صمتاً وهدوءاً من قبل ، حتى إذا هدد الخطر جميع الذين معه يدرك أن الصمت لم يعد يكفي ، وأنه يجب عمل شيء آخر يسهل انجاز أثقل الواجبات ؛ وكلما ازداد الخطر بدت على وجوه المارة في لندن علائم الأنس واللطف

لقد تكلم الناس كثيراً عن قوة بريطانيا المادية وقوة بحريتها وطيرانها ، ولكن الذي يفوق هذا كله هو أطوارها في الجهود بمجرد أن تباشرها ، وإحساسها بالتضامن ، وهدوءها الحازم في الأوقات الحرجة ؛ وبمعنى آخر قواها الأدبية التي تؤيد الحقيقة المطلقة للحكم القائل : « إن الشعب البريطاني ما يزال أثمن حليف في العالم »

مصطفى كامل

وحي الأحاديث المحمدية

بقلم الأستاذ محمود علي قراعة المحامي

كتاب قيم أخذت مادته من كتب أحاديث السنة المشهورة التي جمعها الشيباني في كتابه (تيسير الوصول) أراد به مؤلفه أن يبين للقارئ المعاني الاسلامية النبيلة الواجب على المسلم معرفتها ، ويلخص له مناحي السمو الروحي النبوي التي ينبغي له الوقوف عليها ويضع أمامه بالكلام من الأحاديث المختارة صورة واضحة لفيض المحمدي الذي يسعد من اتبعه ويضرب له الأمثال في شؤون الحياة بما فعله النبي (صلعم) أو قاله فيها ، تكلم فيه عن مولد النبي وصفاته وأخلاقه وعلامات نبوته ومعجزاته وحديثه عن الأنبياء السابقين ومن أصحابه وبره بأهله وأدعيته ومزاحه وحبه للجمال وكراهيته التصوير وهجرته وحبه ووفاته وختمه ببحث من كيف لستير بسيرته وكيف نفهم الأسراء ومن كيفية المعراج بالروح والجسم وكيفية رؤية النبي ربه الخ

٥٦٠ صفحة ورق فاخر ثمنه ١٥ قرشا والبريد ٤ قروش

يطلب من مكتبة الجامعة بشارع محمد علي بمصر

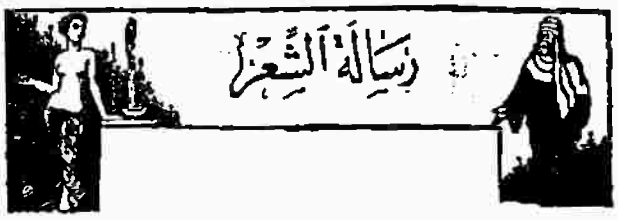

من جراح الحرب !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[مهداة إلى الذين نضر الله أيامهم بالغنى واليسار ، فتركوا أيام الأشقياء والبائسين سرعى على أعنابهم بلا رحمة ولا إحسان . . . ! وإلى الذين شردتهم ويلات الحرب في كل مكان . .]

عَبِيدَ الخَزَائِنِ ... طُوفُوا بِهَا ... كَطَافَ نَعَشُ الهُدَى بالصَّنَمْ !
وَأَدُّوا الصَّلاَةَ بِأَعْتَابِهَا ... عَسَاهَا لَكُمْ كَعْبَةٌ أَوْ حَرَمْ
وَبُثُّوا الكُنُوزَ حَدِيثَ الهَوَى ... لَعَلَّ شَذَا المَالِ يَرْوِي النَّهَمْ
وَقِفْتُمْ هَوَاكُمْ وَأَحْلاَمَكُمْ ... عَلَى أَخْرَسٍ سَرْمَدِيِّ البُكَمْ
لَهُ رَنَّةٌ فِي حَشَاكُمْ لَهَا ... صَدَى عَازِفٍ عَبْقَرِيِّ الرَّنَمْ
غَزَا رِقَّهُ دَهْرَكُمْ مِثْلَمَا ... غَزَا النُّورَ لَيْلٌ دَجِيُّ الظُّلَمْ
عَبَدْتُمْ جَمَادًا عَلَى وَجْهِهِ ... لِجُرْحِ النَّدَى آهَةٌ تَبْتَسِمْ
ظَلَمْتُمْ صِبَاهُ فَشَيَّبْتُمُو ... هُ كَاشَابَ فِي الدَّهْرِ مَعْنَى القِدَمْ
سَجَنْتُمْ خُطَاهُ بِأَبَّاكُمُ ... وَلُذْتُمْ بِهِ فِي زَوَايَا العَدَمْ
إِذَا امْتَدَّ ضَوْءٌ لِمِحْرَابِهِ ... ذَبَحْتُمْ خُطَا الشَّمْسِ فَوْقَ القِمَمْ
وَإِنْ رَفَّ حُلْمٌ عَلَى مَهْدِهِ ... نَسَخْتُمْ فَنَاءً لِهَذَا الحُلُمْ
سَهِرْتُمْ عَلَيْهِ كَأُمِّ الوَحِيدِ ... سَرَى اللَّيْلُ فِيهَا هَوَى يَحْتَدِمْ
قُلُوبٌ سَوَاهِدُ مِثْلُ العُيُونِ ... شَرَايِينُهَا سَاهِدَاتُ الضَّرَمْ
وَقِفْتُمْ بِهَا وَقْفَةَ الدَّيْدَبَانِ ... وَطِفْتُمْ بِهَا طَوْفَةَ المُسْتَلِمْ
عَلَى رَصَدٍ كَفَّنَتْ سِرَّهُ ... يَدٌ سِرُّهَا فِي لَجَاجِ الأَصَمْ
يُسَمُّونَهُ المَالَ وَهْوَ الَّذِي ... يُمِيلُ الحُظُوظَ وَيُمْلِي النِّعَمْ !

* * *

أَمَا جَاءَكُمْ نَبَأٌ عَنْ أَسًى ... جِرَاحَاتُ مِعْصَمِهِ تَضْطَرِمْ ؟
بَكَى الثَّغْرُ حَتَّى سَرَى دَمْعُهُ ... مَعَ الرِّيحِ رُؤْيَا لِهَيبٍ وَدَمْ
يُعَاتِبُكُمْ مَوْجُهُ فِي الضِّفَافِ ... وَلِلْمَوْجِ شِعْرٌ شَجِيُّ النَّغَمْ
إِذَا أَذَّنَ الفَجْرُ فِي أُفْقِهِ ... يُؤَذِّنُ عِزْرِيلُ فَوْقَ الأَكُمْ
فَهَوْيِ قُصُورٌ لَهَا فِي السَّمَا ... جَبِينٌ عَلَى النَّجْمِ عَالٍ أَشَمْ
وَهَوْيِ قُبُورٌ عَلَى أَرْضِهَا ... تَكَادُ مِنَ الهَوْلِ تَبْكِي الرِّمَمْ
أَلاَ مَنْ لِسَارِينَ تَحْتَ الدُّجَى ... يُسَقُّونَ مِنْ كُلِّ بُؤْسَى وَهَمْ
تُهَاجِرُ أَيَّامُهُمْ وَالطَّوَى ... بِأَحْشَائِهَا وَقْدَةٌ مِنْ ضَرَمْ
لَهُمْ سِيرَةٌ رَاحَ يَرْوِي الأَسَى ... أَسَاهَا بِدَمْعٍ كَسَيْبِ الدِّيَمْ
دِيَارُهُمُ أَقْسَمَتْ لاَ تُرَى ... قَبَرَّ الخَرَابُ لَهَا بِالْقَسَمْ
فَلَمَّا تَهَاوَتْ عَلَى أُسِّهَا ... وَدَكَّ الثَّرَى صَرْحَهَا المُنْهَدِمْ
مَشَى المَوْتُ أَعْمَى ضَرِيرَ العَصَا ... يُنَقِّلُ فِي كُلِّ عُمْرٍ قَدَمْ
تَنُوحُ بِكَفَّيْهِ زَمَّارَةٌ ... إِذَا نَامَ زَمَّارُهَا لَمْ تَنَمْ
نَمَا غَابُهَا فِي خَرَابِ البِلَى ... وَطَافَ بِهِ الشُّؤْمُ يَسْقِي الأَجَمْ
سَقَا فَرْعَهُ مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ ... رَزَايَا مُشَعْشَعَةً بِالنِّقَمْ
بِأَدْغَالِهِ لاَذَ جِنُّ الفَلاَ ... وَبُومُ الدُّجَى بِذَرَاهُ اعْتَصَمْ
نَمَا غَابُهَا ... لَيْتَهُ مَا نَمَا ! ... وَلاَ مِنْ حَشَاهُ عَوَى أَيُّ فَمْ
إِذَا وَلْوَلَتْ فِي ظَلاَمِ الضِّفَافِ ... أَصَابَ البِلَى مِنْ صَدَاهَا صَمَمْ
فَلاَ صَرْخَةُ الطِّفْلِ تَلْوِي خُطَاهُ ... وَلَوْ ذَابَ فِيهَا حَشَا كُلِّ أُمْ !
مُفَاجِئَةٌ لاَ تَعِي مَا الوُعُودُ ... وَلاَ مَا العُهُودُ وَلاَ مَا الحُرَمْ ؟
إِذَا صَفَرَتْ ذَابَ قَلْبُ الضِّيَاءِ ... وَدَسَّ الدُّجَى وَجْهَهُ المُدْلَهِمْ
تَحَيَّرَتِ اللَّيْلَ مَسْرَى نِدَاهَا ... كَمَارِدَةٍ تَشْتَكِي لِلسُّدُمْ
عُوَاءُ الذِّئَابِ لَدَى نَوْحِهَا ... أَلَذُّ اسْتِمَاعًا وَأَشْجَى نَغَمْ
تُنَادِي فَيَنْشَقُّ جُرْحُ الأَثِيرِ ... عَلَى قَاذِفَاتِ الفَلَا وَالحُمَمْ
طَوَائِرُ لَمْ يَدْرِ سَاقِي الحَدِيدِ ... أَهَوْلاً سَقَى قَلْبَهَا أَمْ ضَرَمْ ؟

وَهَلْ سَاقَهَا لِلْوَغَى سَائِقٌ ... مِنَ الجِنِّ أَمْ عَاصِفٌ مِنْ عَدَمْ
يُغِيرُ بِهَا وَالكَرَى نَائِمٌ ... وَلَيْلُ الحِمَى رَاهِبُ الظُّلَمْ
وَلِلنِّيلِ إِغْفَاءَةٌ أَقْبَلَتْ ... عَذَارَى الخَيَالِ بِهَا تَسْتَحِمْ
سَجَا وَاطْمَأَنَّ كَأَنِّي بِهِ ... نَبِيٌّ يُبَارِكُ خَطْوَ النَّسَمْ
وَفِي وَجْهِهِ قِصَّةٌ لَمْ يَزَلْ ... مَعَ اللهِ قِرْطَاسُهَا وَالقَلَمْ !
أَغَارَتْ عَلَيْهِ رِيَاحُ المَنُونِ ... فَضَجَّ لَهَا مَوْجُهُ المُرْتَطِمْ
وَحَالَتْ مِنَ الرَّوْعِ شُطْآنُهُ ... نِدَاءٌ يَصِيحُ بِوَنَّى الهِمَمْ :
مَشَى نَافِخُ الصُّورِ فِي أَرْضِكُمْ ... فَكُونُوا البَشِيرَ لِبَعْثِ الأُمَمْ
دَعُوا الهَوْلَ يَأْتِي كَمَا يَشْتَهِي ... فَإِنَّا أَلِفْنَاهُ مُنْذُ القِدَمْ
يُدِيرُ عَلَيْنَا خُطَا السَّاقِيَاتِ ... عَلَى جَبَلٍ مَرْمَدِيِّ الشَّمَمْ !
عَلَى خَمْرَةِ الصَّبْرِ مِلْنَا بِهِ ... نُشَاوَى بِسِحْرِ الأَسَى وَالأَلَمْ
فَمَنْ رَامَ كَيْدَ الحِمَى وَبْلَهُ ... سَيُشْقِيهِ جَبَّارُهُ المُنْتَقِمْ !
وَيَسْقِيهِ مِنْ سُخْرِيَاتِ الفَنَاءِ ... عَتِيٌّ عَلَى الدَّهْرِ يُدْعَى الهَرَمْ
أَبُو الهَوْلِ فِينَا يَسُوقُ الزَّمَانَ ... وَيَرْعَى اللَّيَالِيَ رَعْيَ الغَنَمْ
فَمَا الهَوْلُ ؟ مَا خَطْبُهُ إِنْ دَجَا ... سِوَى هَاجِسٍ بِخُطَانَا أَلَمْ ؟

* * *

دَعُونَا نُحَيِّ الوَغَى وَاللَّظَى ... وَإِنْ كَرْبُهَا فِي ثَرَانَا احْتَدَمْ
فَمَا يَصْرَعُ المِحَنَ المُبْكِيَاتِ ... إِلاَّ الَّذِي ذَاقَهَا وَابْتَسَمْ !
دَعُونَا نُحَيِّ لَهِيبَ الخُطُوبِ ... وَإِنْ جَمْرُهَا فِي حَشَانَا اضْطَرَمْ
سَئِمْنَا حَيَاةَ الزَّمَانِ المَرِيضِ ... وَعَيْشَ الزَّمَانِ السَّقِيمِ الهَرِمْ
دَعُونَا نُقِيمُ مَجْدَنَا فِي النُّجُومِ ... فَمَنْ ضَوْئِهَا قَدْ نَسَجْنَا العَلَمْ
سَتَعْصِفُ أَيَّامُنَا بِالوُجُودِ ... وَتَهْزَأُ أَرْوَاحُنَا بِالعَدَمْ
وَنَبْنِي جَدِيدًا لِتَارِيخِنَا ... كَفَانَا فَخَارًا بِسِحْرِ الكَلِمْ
تَمَرَّدَتِ الأَرْضُ تَبْغِي الوُثُوبَ ... فَمَا بَالُنَا بِالكَرَى نَعْتَصِمْ
أَلَا فَلْنَقُمْ مِنْ عَمِيقِ الرُّقَادِ ... فَلَا بُعْثَ لِلجِيلِ إِنْ لَمْ نَقُمْ !

محمود حسن اسماعيل

العـــاطفة الحيرى

للأستاذ خليل شيبوب

فى الصدر عاطفةٌ ولهى محيرةٌ ... قد طالَ ما أتْقى منها وما أجِدُ
وددتُ لو ظهرتْ حتى يخفَّ بها ... قلبى وحتى يُرَاحَ الروحُ والجسدُ
كأنها فى فؤادى حينما خفيتْ ... أنشودةٌ لم يُذِعْ ألحانَها أحدُ
حامت على الوتر المشدودِ صامتة ... فهل إلى نزعها منه تُمَدُّ يد
كأنها النجمُ يسرى فى الغيوبِ وما
يَدْرِى إلى أىِّ دنيا نورُه يَفِدُ
أو خمرةٌ ليس يُدْرَى بَعْدُ شاربُها
تظلُّ فى ختمها تَغْلى وتتَّقِدُ
أو درةٌ أخطأ الغوّاص موقعها ... تظلُّ فى الصدفِ المختومِ تنعقدُ
أو حبةٌ علقت فى الأرض ناضجة ... فالأرضُ حُبلى بما فيها وما تلدُ
يا نزغةً فى فؤادى لستُ أفهمها ... شرٌّ من الجدِّ لهوٌ قائلٌ وَدَدُ[1]
أنى الزمانُ الذى ما زلتُ أرقبه ... وفيه كلُّ أمانىَّ الهوى بِدَدُ
وعُطِّلَتْ بدواتٌ كان يبعثُها ... وجهٌ به قسماتُ الحسن تتَّحِدُ
ماعاد لى اليومَ من قصدٍ أُحَقِّقُهُ ... وأىُّ قصدٍ أُدَارِيهِ وأفتقدُ
تقطَّعَ الوترُ المشدودُ حين خبا ... نجمٌ سرى وأريقَتْ خمرةٌ نفدُ
وأطفأ الصدفُ المختومُ دُرَّتَهُ ... وحبَّةُ الأرضِ ماتت وهى ترتقدُ
قد بان أمسى وما يومى بمعتلقٍ ... به وليس ليومى فى الزمانِ غَدُ[2]
طغتْ هواجسُ فى صدرى تُغَمِّغِمُ لى ...
صلاتِ عُمْرِىَ تُشقيه وتضطهدُ
كأن تحتى فضاءً لستُ أبصره ... لكن أُحِسُّ به يدنو ويبتعدُ
حسبُ الشقاء بأنى قد رضيتُ به ... وأن لي ما وَهَى عزمٌ ولا جلدُ

خليل شيبوب

(١) الدد : الهزل
(٢) بان : ذهب

من الأستاذ توفيق السلمدار

صديقي العزيز

شاء فضلك أن تنوّه بي في سياق وصفك الفني لمنتداك تحت الكافورة — التي خلّدت ذكرها بأدبك البارع ، وإني متيمن ، يا صاحب الرسالة ، بحسن ظنك شاعر بأثر حبك وعطفك في رأيك .

وكم بودي لو يساعدني ما تعرف من حالي الصحية على القيام بما دعوتني إليه ، ولو يكون لي حظ من الكفاية يسمح بالإقدام في ميدان أتهيب الدخول فيه بعد تنانك الكريم . على أني قد أخاطر كلما خطر لي موضوع وأسعدتني الصحة .

هذا ، ولك مني جزيل الشكر ، وصادق الأخاء ، وأحسن التحية .

(المنصورة) محمد توفيق السلمدار

تعقيب لغوي

جاء في (شجون) العلامة الدكتور زكي مبارك بالعدد ٤٢١ من الرسالة ما يأتي :

« أكبر هموم علمائنا اللغويين أن يعترضوا على نيابة حرف عن حرف ، وأن يقول قائلهم : إن العرب تعرف كيت ولا تعرف زيت (كذا) ، وأن يثوروا على أي تعبير لا يجدون له شواهد في أقوال القدماء ... الخ »

ولست الآن من محاجّة الدكتور في أفكاره هذه بصدد . وإنما هما ملحوظتان لفظيتان أريد التنبيه عليهما في عبارته :

١ — أن (ذَيْت) بالدال لا بالزاي . وقد انتظرت طويلاً لعل الدكتور يعود فيصححها ، فلم يفعل . وقد يكون هذا من سبق القلم ، كما قد يكون من زلات المطبعة .

٢ — أن (كَيْتَ) و (ذَيْتَ) لا بد أن تُكرّرا . تقول : كان من الأمر كيت وكيت ، أو : كان من الأمر ذيت وذيت . وفي الحديث : « بئس ما لأحدكم أن يقول : نسيت آية كيت وكيت [1] » .

(١) كذا في (النهاية) لابن الأثير واللسان وغيرهما .

فكان واجباً أن يقول الدكتور : ... إن العرب تعرف كيت وكيت ، ولا تعرف ذيت وذيت ... [1]

والله الموفق .

(ع)

١ — صحة مَثَل

في ثلاثة مواطن من باب « البريد الأدبي » في هذه المجلة ، (أنظر الرسالة ، الأعداد : ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٠) كلمات ثلاث في المثل القائل : « النحو في الكلام كالملح في الطعام » . ذهب كاتب الأولى إلى تضعيف هذا المثل كون وجه الصحة في إيراده : « الهزل في الكلام كالملح في الطعام » استناداً منه إلى ما جاء في كتاب مجالس السلطان الغوري . فجاء الكاتبان الثاني فالثالث يؤيدان صحة المثل بنصه الأول

وهأنذا الآن بين يدي نص صريح وقفتُ عليه ، يثبت صحة المثل ويبين مغزى إطلاقه

جاء في القسم الثاني من الجزء الخامس من كتاب « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ (ص ١٦٠ من الطبعة التي ظهرت أخيراً في حيدر آباد) :

« حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال : دخلتُ على أبي العيناء في آخر عمره ، وقد كفّ بصره ، فسمع صرير قلمي على الدفتر قال : مَن هذا ؟ قلت : عبدك وابن عبدك محمد بن يحيى الصولي ! قال : بل ولدي وابن أخي ! ما تكتب ؟ فقلت : جعلني الله فداءك شيئاً من النحو والتصريف ! فقال : النحو في الكلام كالملح في الطعام ، فإذا أكثرت منه صارت القدر زعاقاً يا بني ! إذا أردت أن تكون صدراً في المجالس ، فعليك بالفقه ومعاني القرآن . وإذا أردت أن تكون منادماً للخلفاء وذوي المروءة والأدباء ، فعليك بنُتَف الأشعار ومُلَح الأخبار » اهـ

(١) ومما تحسن الاشارة إليه هنا أنه لا يصح أن يقال : كان من الأمر كيت وذيت ، أو : كان من الأمر ذيت وكيت ، كما أراه أحياناً في بعض الأقلام — ويكفي من الأمر أيضاً بكذا ؛ إلا أن (كذا) تفرد إن لم يتعدد الفعل . قال في (المصباح) : ويكون كناية عن الأشياء . يقال : فعلت كذا ، وقلت كذا . فان قلت : فعلت كذا وكذا فلتعدد الفعل اهـ . وكذا يفهم من كلام الجوهري . ومما أراه أحياناً قولهم : كان كذا وكيت ، أو فعل كذا وكيت . وهو خطأ .

فأنت راء مما نقلنا أن هذا المثل لا يحتمل تأويلاً ولا يستوجب تبديلاً ، بعد أن كفانا أبو العيناء (المتوفى سنة ٢٨٣ هـ) نصب البحث عن موقع استعماله

٢ — نظرة فى مقال

أطالع باغتباط ما يكتبه الأستاذ محمد عبد الغنى حسن بعنوان « مدن الحضارات فى القديم والحديث » ، فهو بحث جليل ؛ وقد استوقفتنى فيه نقاط (العدد ٤١٧ من الرسالة) أظنها تحتاج إلى مراجعة ، وهى :

١ — قال فى الصفحة ٨٤٤ فى كلامه على بغداد : « والبحترى الشاعر الرقيق يصف لنا بركة المتوكل فى شعر تصويرى جميل ... ويقول فى ذلك :

تنساب فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها»

والذى يُفهم من هذا الكلام ومما يتلوه ، أن بركة المتوكل كانت فى بغداد ، فى حين أن من المعروف عرفان اليقين أنها فى سامراء . والذى يقرأ سيرة المتوكل يجد أنه قضى أغلب أيام خلافته فى سامراء ، وبها أقام قصوره التى فاقت سائر قصور الخلفاء ، ولا داعى إلى تفصيل ذلك

٢ — وورد بعد ذلك بخمسة عشر سطراً قوله : « وكان نهر دجله فى ذلك الحين يكاد يغص بالحراقات الكثيرة والزوارق الجميلة ... الخ » . والواضح أنها « ... يغص بالحرّاقات ... » وهى ضرب من السفن النهرية ، ولعل هذا من أغلاط الطبع

٣ — وفى آخر الصفحة نفسها ، عَدَّ « جميل نخلة المدور » عراقياً مع أنه لبنانى

(بغداد) كوركيس عواد

الطنطاوى يتحرك ... فهل يتحركون له ؟

قضت الظروف القواهر التى حلت بدمشق إلا أن تحطم الأقلام القليلة التى كانت تهتز بين حين وحين لتمسح عبرة من مقلة ، أو لتأسو جرحاً فى قلب ، أو لتبعث نشوة فى نفس . وأخذت حِلَق تطوى الليالى السود وفى نفوس المثقفين من أبنائها غصة ، وتقضى الأيام العوابس والألم يصهر النُّثير من شبابها على الأدب الذى أصبح ميتاً فيها خلال هذه الأحداث أو شبه ميت . ولسنا ممن يزعمون أن الأدب فى دمشق كان قبل الحرب خيراً منه فى خلالها ، ولكن العاملين والعاملات كانوا يجدون حين يتعلى القلم أناملهم الخمس اللطاف ! ميداناً ينشرون به ما ينتجون . ولكن هذا الميدان بدأ نطاقه يضيق منذ انقدت الشرارة الأولى لهذه الحرب الضروس — التى توشك أن تقضى على البشرية إن لم يطفئها عقلاء قوم — ولم يكن هذا الضيق خاصاً بالأدب والأدباء وحدهما ، وإنما كان عليهما أشد منه على غيرهما من مرافق الحياة . وما زال الضيق يشتد ، والنطاق يتأزم ، حتى أمسينا منذ شهور وليس فى الميدان من يخط حرفاً (لرثاء) الأدب بعد أن تلاشى وخمدت أنفاسه

وهكذا حطم الأدباء والمتأدبون يراعهم ، وحرمنا الأنس بصرير أقلامهم ، وطريف أقوالهم ... حُرمنا ذلك كله لتحل محله الوحشة بدوى القنابل ، والذعر من عويل الطائرات[1] . ولم يعد ثمة مجال لغذاء العقل ، وقوت الفكر ، ونشوة الروح

وها قد أخذنا نتنفس الصعداء بعد هذه الضُّغطة[2] القاتلة وشرعنا نستعيد شيئاً من هدوء النفس ، وطمأنينة الفؤاد بعد الانقلاب الأخير . فهل نترك عقولنا إلى الأبد دون غذاء ، وأفكارنا دون قوى ، وأرواحنا دون خمر ؟

تقول العامة إن الحركة بركة ! وهذا الأستاذ الطنطاوى يتحرك ويسارع بنشاط إلى قلمه بعد أن سكت فأطال وأطال . وهذه الأنباء تترى علينا من كل ناحية وصوب ، والشائعات تملأ الجو الأدبى وكلها تبشر بخير كثير ونفع عميم . ولعل أعظم هذه الأنباء شأناً وأدعاها للغبطة والسرور هو نبأ إعادة مجلة المجمع العلمى فى وقت قريب إلى حيز الوجود وتأمين صدورها بأوقاتها المعينة ؛ والذين يعرفون مبلغ أهمية هذه المجلة فى دنيا الأدب سيغتبطون لهذا النبأ دون ريب . وهناك من يقول بأن الدكتور العجلانى يسعى للحصول على ترخيص لإصدار مجلة أدبية راقية ، إن لم يكن قد حصل بالفعل . وهناك طائفة من الشبان العاملين فى حقل الأدب تعد العدة لإصدار صحيفة فى الموضوع نفسه . ونعتقد أن هذه الصحيفة ستكون أكثر توفيقاً من غيرها لأنها ستقوم على سواعد أناس لا يبغون من وراء عملهم سوى خدمة الأدب والثقافة . وهناك ... وهناك ... فهل يتحقق كل

(١) كانت أصوات الطائرات التى أغارت على دمشق فى فجر الخامس والعشرين من شهر حزيران (يونيو) لاتختلف عن العويل فى قليل أو كثير

(٢) الشدة .

هذا فيك يا دمشق ! وهل تصدق كل هذه الأماني والأحلام العذاب ؟ وهل نرى أدباءنا كلهم يتسابقون إلى الميدان بإخلاص وعزم وثبات ؟ هل نرى الأدب في دمشق مزدهراً يانعة ثماره ؟ وهل نرى شيوخ الأدب وشبانه يعملون معاً متوادين متآلفين ، مخلصين متفقين ، ليس في الشيوخ واحد يستخف بشاب ، ولا بين الشبان متخذلق واحد يشتم الشيوخ ويسكب الثناء على نفسه من وراء حجاب ؟ هل نرى كل ذلك ... ؟ هل نراه ؟

(دمشق) عبد الغني العطري

الواو التي حيرت النحويين

لا بد لهذا الجمود في العلم عندنا من آخر ، ولا شيء يقرب نهاية هذا الجمود غير الطعنة الجريئة توجه للتعارف بين أهله ، والمجمع بينهم على صحته ، لتثور بذلك ثائرتهم ، وتتفتح به أذهانهم المقفلة

وطعنتي اليوم لتلك الواو التي حيرت النحويين في نحو إياك والشر وغيره من صيغ التحذير ، فقد حملوها ما لا تحتمله من معنى العطف ، وتكلفوا في حملها عليه وجوهاً تأباها جزالة اللغة ، فقال بعضهم : إن الأصل في ذلك — اتق نفسك أن تدنو من الشر والشر أن يدنو منك — فحذف أن والفعل وجاره المقدر والجار المتعلق به من كل من المعطوف والمعطوف عليه ، فصار — اتق نفسك والشر — ثم حذف الفعل والمضاف وأنيب عنه الضمير فانفصل . وهناك تكلفات أخرى في ذلك أسهلها أن الأصل فيه — إحذر تلاق نفسك والشر — فحذف الفعل ثم المضاف الأول وأنيب عنه الثاني ، فصار — نفسك والشر — ثم حذف لفظ نفس وأنيب عنه الضمير فانتصب وانفصل وصار — إياك والشر

والحقيقة أن هذه الواو ليست من العطف في شيء ، وأن التعليم التلقيني التقليدي هو الذي يجعلنا نصر إلى الآن على أنها للعطف ، وأكبر دليل على أنها ليست للعطف أن صيغة التحذير قد تخلو منها فيكون معناها مع خلوها منها كمعناها مع وجودها فيها ، كما قال الشاعر :

فإياك إياك المراء فإنه إلى الشر دعاء وللشر جالب

وليس هذا شأن حرف العطف ، وإنما هو شأن الحرف الزائد ، فهذه الواو عندي زائدة لا عاطفة

ويلي هذا عندي أن تكون أصلية عاطفة لا على معنى التشريك في الحكم ، ولكن على معنى من الجارة ، فيكون معنى — إياك والشر — إياك من الشر ، ولا غرابة في أن تأتي الواو العاطفة بمعنى من الجارة ، فقد وردت عاطفة بمعنى باء الجر في نحو قولهم — أنت أعلم ومالك — أي بمالك ، وهذا هو رأيي في تلك الواو أعرضه على قراء الرسالة الغراء ، ليوازنوا بين الرأيين ، وكم ترك الأول للآخر .

عبد المتعال الصعيدي

النفط

يحتل السائل المستعمل في الاستصباح اليوم مكانة ملحوظة من جميع الشعوب ، والقوم في مصر يشكون الآن قلته ، ويتنافسون في سبيل الحصول عليه ، وذلك لندرته واستنفاد الحرب للقائمة لأكثرية الكمية الموجودة منه في العالم . ومن العجيب أن هذا الزيت قد أطلق عليه في مصر العربية جملة أسماء ليس من بينها اسم كانت تستعمله العرب ؛ فالحكومة المصرية تسميه في بطاقاتها « الكيروسين » ولا أدري من أين جاءت هذه اللفظة ، وكتاب السياسة يسمونه « البترول » ولم أر لها أصلاً في اللغة ، والعامة تسميه « الجاز » أو « الغاز » وكل منهما لفظة مجهولة منكورة .

فلماذا لا نسمي هذا السائل باسمه العربي القديم ، والذي يطلق عليه اليوم في العراق وفي البيئات العربية الصميمة ، ألا وهو النِّفط ؟

جاء في المختار : « والنِّفط والنَّفط دهن ، والكسر فيه أفصح » ؛ وجاء في القاموس إنه : « ضرب من السرج يستصبح به » ؛ وقال المصباح : « والنفاطة أيضاً منبت النفط ومعدنه » . فلنقل « النفاطات » بدل « منابع البترول » .

ويقول بشار بن برد في حبيبته عبدة :

لعبدة دار ، ما تكلمنا الدار تلوح مغانيها كما لاح أسطارُ

أسائل أحجاراً ونؤياً مهدماً وكيف يجيب القول نؤى وأحجار ؟

وما كلمتني دارها إذ سألتها وفي كبدي (كالنفط) شبت لها النار !

« البيلات »

أحمد الشرباصي

والد الملوك الأيوبيين أيضاً

أراد الأخ الأستاذ محمد عبد الغني حسن أن يناقش (في العدد ٤٢٢ من الرسالة) فكرة جديدة بعيدة عما قصدت إليه بردي المنشور في الثقافة عدد ١٣٥ ؛ تلك الفكرة تتلخص — كما فهمت — فيما يلي : هل كان أمراء بني أيوب يلقبون بلفظ الملك أم لا ؟ وأنا لا أعارضه في هذا الرأي بل أزيده أن هذا التقليد بدأ في مصر

فكان يحمل لقب الملك وزراء بنى فاطمة الأقوياء عند ما جعوا السلطان فى أيديهم ، وساعدهم على ذلك ضعف الخلفاء « وأول من لقب بالملك منهم مضافاً إلى بقية الألقاب رضوان بن ولخشى عند ما وزر للحافظ لدين الله ... سنة ثلاثين وخمسمائة » (المقريزى الخطط ، طبعة النيل ج ٢ ص ٣٠٥) . وصار وزراء الفاطميين بعد هذه السنة يحملون ذلك اللقب ، ومنهم أسد الدين شيركوه الذى لقبه الخليفة العاضد فى خطاب توليته الوزارة بالملك المنصور ؛ ومنهم أيضاً صلاح الدين الأيوبى الذى لقبه العاضد كذلك بالملك الناصر ، فكان هذا اللقب يمناً عليه ، ولزمه حتى وفاته

ولما ملك صلاح الدين وأصبح لآل أيوب الأمر والذكر لقب الكثيرون منهم بألفاظ الملك ، وإن لم يحكموا مصر ، بل لدى ما يحملنى أستزيد الأستاذ دعاء لى أن يسامحنى الله . فقد قال صاحب شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب حزاب عند ترجمة نجم الدين أيوب : « أيوب بن شادى نجم الدين الملك الأفضل وقيل الأوحد أبو الملوك الأيوبية ... الخ » . فنجم الدين الذى عنيته فى مقالى بالثقافة عن تاج الملوك بورى لقب بالملك الأفضل أو الأوحد ، والذى حمله هذا اللقب هو الخليفة العاضد أيضاً (راجع المصدر السابق نفس الصفحة) إذ يقول عند كلامه عن لحاق نجم الدين بابنه صلاح الدين وحضوره إلى مصر : « وخرج إلى مصر بجماعته كلهم ، ولما قدم خرج العاضد للقائه ولقبه وزينت البلاد الخ » ولم أعثر فيما قرأت عن الأيوبيين على مؤرخ واحد لقبه بالملك الصالح إنما الذى تفرد بحمل هذا اللقب هو نجم الدين بن الملك الكامل محمد ، لهذا كان لى عذرى أن حسبت أن الأسماء تشابهت على الأستاذ عبد الغنى ، ورأيت أنه لزام على أن أكتب ما كتبت

لم يبق إذن إلا أن الأستاذ يريد أن يضفى — من عنده — هذا اللقب على أبى الملوك الأيوبيين لأنه كان محباً للصالحين كما يقول أبو المحاسن ج ٦ ص ٦٧ ، وهذا فرض بعيد أولاً ، ولا يسمح به التاريخ للأستاذ ثانياً ، لأن هؤلاء الملوك وأسماؤهم وألقابهم وأعمالهم أصبحت فى ذمة التاريخ ، ولا يسمح التحقيق العلمى لأحدنا ألبتة أن يغير فى صغيرة أو كبيرة منها ، فهل لا يزال الأستاذ بعد هذا التحقيق مصراً على تلقيب نجم الدين الكبير بالملك الصالح ؟ لا — بل أنا أظنه — وقد ثبت لدى أنه يعلم أن الكبير غير الصغير ، يوافقنى على تلقيب الأول بالملك الأفضل أو الأوحد ، ويترك لقب الملك الصالح لمن يتميز به وهو حقيد العادل ؛ ولعلى — بهذه الكلمة — أكون قد أرضيت الحق والتاريخ أولاً ، والأستاذ عبد الغنى ثانياً

بجمال الدين الشيال

المهرجان الأدبى الثالث

يحتفل السودانيون كعادتهم فى كل عام بالمهرجان الأدبى الذى سيقام هذه السنة بنادى الخريجين بأم درمان فى أيام عيد الفطر المبارك حيث يعرض ما تنتجه العقلية السودانية فى ميادين الآداب والعلوم والفنون

والسودانيون الذين تربطهم بمصر روابط لا تنفصم عراها ، والذين يستمدون ثقافتهم منها ، كم يسرهم أن يلبى رجال الفكر وقادة الرأى وحملة الأقلام دعوتهم ليسعدوا برؤية من يستطيع زيارة السودان فى ذلك الحين ، وليتذوقوا ما تخطه تلك الأقلام القوية فى مختلف الأبحاث

وليت أبناء الكنانة عاملون على تحقيق تلك الرغبة التى سيكون لها أثرها الخالد فى تدعيم الصلات بين القطرين الشقيقين

الأمين العام
سكرتير المهرجان

الافصاح

المعجم العربى الفذ ، وهو خلاصة وافية للمخصص وغيره من المعجمات ، يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ، ويسعفك باللفظ للمعنى المراد ، يعين العلماء على وضع المصطلحات العربية فى العلوم المختلفة ، ولا يستغنى عنه مترجم ولا أديب ، ٨٠٠ صفحة تقريباً ، طبع دار الكتب ، أشرفت طبعته على النفاد ، ثمنه ٢٥ قرشاً يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه :

حسين يوسف موسى — عبد الفتاح الصعيدى
المدرس بالمدرسة السعيدية — رئيس التحرير
الثانوية بالجيزة — بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)